

# الفصل الأول : نجيب الكيلاني

## الإنسان و الأديب

## المبحث الاول : نجيب الكيلاني ومحطات الزمان والمكان في حياته

في اليوم الأول من حزيران عام ١٩٣١ م وُلد أديبنا الراحل الدكتور نجيب كامل إبراهيم عبد اللطيف الكيلاني ، في قرية " شرشابه " ، بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية .

وقرية شرشابة قرية معزولة بعيدة عن طرق المواصلات لا يمر بها القطار ، تبعد عن مدينة " طنطا " حوالى عشرين كيلو متراً ، يعاني أهل القرية من العزلة والفقر والجهل وانتشار مرض البلهارزيا <sup>١</sup> .

كان نجيب الكيلاني الابن البكر لوالديه ، وكانت أسرته كحال جميع أهل القرية تمتن الزراعة ، تملك بعض الأفدنة التي تزرعها ، وكان منذ نعومة أظفاره يعمل في أرضهم ( وفي الأعوام الأولى من التعليم الابتدائي وقبله ، كنت أشترك أسرتي في أعمال الحقل المعروفة كنقل السماد ... ، وأساعد في زراعة القطن والقمح والذرة ، وأدير الطنبور ، وأحصد البرسيم والقمح والذرة ، ونذهب إلى حقول القطن لجمع الأوراق المصابة بالآفات طوال اليوم ، ونظل منحنين الساعات الطوال باحثين عن تلك الإصابات ) <sup>٢</sup> .

لقد ولد حب القرية في قلبه الصغير كبيراً فشرشابة كما يصفها الكيلاني ذات طبيعة جميلة وأرض خصبة أناسها طيبون ، ويقول عنها ( القرية تعيش في دمي ، تسكن قلبي وعقلي ، ذكرياتها تحرك أشجاني ، وتلهب خيالي ، إنني أتصور دائماً طفولتي الباكراً فيها ) <sup>٣</sup> .

١- ينظر : مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، الجزء الأول ، د. ط ، كتاب المختار ،

القاهرة ، ٢٠٠٦ م : ١١-٧

٢ - المصدر نفسه : ٣٣ .

٣ - حوار مع الدكتور نجيب ، كريمة شاهين نقلاً عن ملامح الشخصية الرئيسة في روايات

نجيب الكيلاني السياسية " دراسة تحليلية " ، عبد الناصر المنتصر بالله محمد محمود ،

أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية : ٤١ .

كان أغلب أهل القرية يشتغلون أجراء عند ملاك الأراضي ، أو يستأجرون أفدنة منهم يقومون بزراعتها ، وقد كان الفلاح يزرعها غالباً بالقطن المرتفع الثمن ، لكن في نهاية العام يستولي المالك على جميع المحصول لبيعه بمعرفته ، بحجة استقطاع بدل إيجار الأرض ، وكان هذا الإيجار يتغير بحسب ذمة المالك ، وغالباً ما يعود الفلاح صفر اليدين من محصول القطن ، فيضطر إلى انتظار المحاصيل الأخرى كالذرة أو القمح أو الشعير<sup>١</sup> .

في هذه القرية وبين أهلها المعدمين نشأ الكيلاني ، في أسرة كبيرة نسبياً ، تتكون من والده ووالدته وأخويه أمين ومحمد وشقيقاته وجده لأبيه " إبراهيم " . تلقى أول علومه في كُتّاب القرية الذي دخل إليه وهو في الرابعة من عمره ، واشترى له جده محبرة وقلماً ، كما اشترى له طباشير ولوحاً للكتابة .

كانت الكتاتيب في ذلك الوقت تقوم بتعليم بعض الأساسيات إلى جانب تعليم القرآن الكريم ، وما أن بلغ السابعة من عمره حتى ألم بقواعد القراءة والكتابة ، وبعض العمليات الحسابية البسيطة ، وبعض سور القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وأناشيد دينية ووطنية ، وحفظ أيضاً أسماء الله الحسنى وأسماء النبي الكريم ونسبه وأولاده<sup>٢</sup> .

وكان إلى جانب الكتاتيب يوجد في القرية المدرسة الأولية " الإلزامية " التي تفتح أبوابها للبنات صباحاً وللبنين ظهراً .

وحينما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، كان نجيب في الثامنة من العمر ، في هذا الوقت يقرر جده لأمه إرساله إلى مدرسة الأمريكان ، يقول في هذا الشأن :

(وفي خضم تلك الأحداث المرعبة المتلاحقة تقرر أن ألتحق بمدرسة الأمريكان الابتدائية بقرية سنباط ... كان المفروض أنني أعد نفسي للإلتحاق بالأزهر الشريف في طنطا ، وكنت قد أوشكت على الإنتهاء من حفظ القرآن ، وأكملت

١- ينظر : مذكرات الدكتور الكيلاني : ١ / ٣٧ .

٢- ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٤ .

استعدادي لإمتحان الحساب والإملاء ... ويبدو أن جدي عبد القادر<sup>١</sup> رأى عدم مناسبة الدراسة الأزهرية لخالي مالك وإبراهيم ، فرأى أن يذهب بنا نحن الثلاثة إلى مدرسة الأمريكان ، وهي المدرسة الوحيدة بالمنطقة التي تدرس اللغة الإنجليزية ، وتمنح شهادة إتمام الدراسة الابتدائية<sup>٢</sup> .

يبدو أن قرار جده في ذلك الوقت كان السبب في رحلة أدبية وعلمية طويلة ، امتدت إلى آفاق رحبة في هذا العالم .

كانت هذه المدرسة تبعد عن قريته " شرشابة " خمسة كيلو متراً ، وكان يقطعها مشياً على الأقدام في الذهاب والإياب ، ومع هذا فقد كان يحرص على ممارسة هوايته الرياضية " كرة القدم " حتى أنه يقول : ( واصبحت واحداً من الفريق الرسمي لمدرسة طنطا الثانوية الجديدة وهو أمل يحلم به الكثيرون ، وسافرت للإشتراك في مسابقات بالنادي الأهلي بالجزيرة )<sup>٣</sup> .

في لحظة عابرة ولكنها تاريخية في حياة أديبنا ، يقع عليه الإختيار في إكمال دراسته ، بينما أخوه الأصغر يترك الدراسة وينخرط في عمل الحقل ؛ ذلك أن العم اشتكى لوالد نجيب من أعباء العمل في الحقل ، وطلب منه أحد ولديه لمساعدته في الحقل ، وشاء الله أن يقع الإختيار على الأبن الأصغر ، ليس لأنه فاشل في الدراسة على العكس بل كان مجتهدا ، لقد كان السبب الوحيد هو أنه الأصغر ، ويبدو أن صغر سنه جعله يوافق على هذا القرار ، دون إدراك لعواقب الامر ، وهكذا تقرر العائلة في لحظة أن يترك أحمد الدراسة وأن يعمل في الحقل ، بينما يكمل نجيب دراسته ..<sup>٤</sup> .

وتخرج نجيب في المرحلة الابتدائية ، وحصل على المرتبة الخامسة على جميع طلبة الدلتا ، والتحق بمدرسة " كشك الثانوية " بمدينة " زفتي " ، كان لازماً عليه أن يقضي الأسبوع في هذه المدينة بغرفة استأجرها مع بعض زملائه ، وفي عطلة

١- عبد القادر جده لأمه ، وإبراهيم جده لأبيه .

٢- مذكرات الدكتور الكيلاني : ١٨/١ - ١٩ .

٣ - المصدر نفسه : ١ / ١٩ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٣ .

نهاية الأسبوع يستقل القطار حتى قرية سنباط ويكمل المسافة الباقية مشياً إلى شرشابة يقول: (وكان مشوار سنباط - شرشابة أصبح من قدرنا) <sup>١</sup> .

وبعد شهرين من الدراسة ، شعر الكيلاني بقدر غير قليل من الوحدة والغربة ؛ وما ذلك إلا بسبب ذهاب زملائه وخاليه إلى الثانوية في مدينة طنطا ، فاقترح خاله إبراهيم أن ينتقل إلى ثانوية طنطا ، غير أن هذه الثانوية لم تقبله لعدم وجود مقعد شاغر ، فتفتقت الأذهان عن فكرة مفادها أن ينتقل إلى مدرسة الزراعة الثانوية لمدة سنة واحدة وبعدها ينتقل في السنة الثانية إلى ثانوية طنطا ، ووعدته خاله إبراهيم بأنه سيحاول الحصول له على المجانية لكونه من المتفوقين ، وتم له الأمر بتوفيق من الله .

وهكذا انتقل إلى مدينة " طنطا " بعد شهرين في " زفتي " ، قال له أبوه في حينها: ( كنت أعلم أنك تحب طنطا ) <sup>٢</sup> .

لقد كان استنتاج الوالد صحيحاً فها هو ذا الكيلاني يصرح بحبه لهذه المدينة فيقول: ( لقد أغرمت بهذه المدينة غراماً ملك عليّ حواسي ، فقد وجدت فيها العلم والثقافة والمتعة والذكريات الحلوة ، ووجدت فيها القديم والجديد ، والماضي والحاضر ) <sup>٣</sup> .

وبعد حصول الكيلاني على الشهادة الثانوية ، التحق بكلية الطب ، وهكذا تسنى له أن يدخل إلى المدينة الجامعية عام ١٩٥١ م ، التي كان اسمها في ذلك الوقت " مدينة فاروق الأول الجامعية بالأورمان " <sup>٤</sup> .

لقد كان دور المدينة الجامعية في حياة الكيلاني متعدد الأوجه ، فمن جهة أزاحت عن نفسه همّ السكن والمعيشة ، فقد كانت الخدمات المقدمة للطلبة ممتازة ، ولاسيما وجبات الطعام التي كانت على درجة عالية من الجودة ، ومن جهة أخرى لقد مكنته هذه المدينة من الإختلاط ومعرفة طلاب من المشارب والتوجهات

١ - مذكرات الدكتور الكيلاني : ١ / ٥٠ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٥٠ .

٣ - المصدر نفسه : ١ / ٥٤ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٨٧ .

الحزبية والدينية شتى ، مما عمق إيمانه بالإتجاه الحزبي الذي إنضم إليه من الثانوية ، ومن جهة ثالثة أن المدينة الجامعية بنظامها وإمكاناتها قد اتاحت له فرصة ذهبية لإذكاء جذوة الطموح والتفوق في نفسه ؛ فقد كان بها نسبة كبيرة من أوائل الدفعات في مختلف الكليات والمراحل <sup>١</sup> .

وحتى نعطي صورة واضحة عن انعكاس هذا المكان على نفسية الكيلاني ، ومدى مشاعر المحبة التي يكنها في أعماقه لهذه المدينة ، لابد من أن ننقل قوله عنها بكل أمانة ، يقول :

( لقد قضيت في هذه المدينة أربع سنوات كانت كالحلم الجميل .. شعرت أنها قلب الأم الحنون التي تضم فتاها الريفي القادم من القرية النائية . يكاد يبهره البريق ، ويذهله زحام المدينة الصاخبة ..

في المدينة العزيزة لقيت أعز الأصدقاء وأحبهم إلى قلبي ... وقرأت في السياسة والأدب والطب.. وفيها عاصرت أعتى الأحداث وأخطرها .. كانت حياتي فيها مثيرة جديدة بكل ماتحمله هذه الكلمات من معنى .. وخلال تلك السنوات الأربع الخصبة التقيت خارجها بوجه حبيب .. وجه ظل يضيئ لي طوال رحلة حياتي الشاقة .. التقيت بأم أولادي .. ترى أيمكن في صفحات معدودة أن أسجل تلك الذكريات الحلوة ، في هذه المدينة الجميلة ؟ لا أعتقد ..

لكن ماذا أفعل ، والأحداث كثيرة ، والوقت قصير ، والعمر يمضي والتجربة لابد وأن تُسجل أهم سطورها ؟ .

سلام على تلك الأيام .. وسلام على تلك البقعة الحبيبة .. وسلام على أيام الشباب النابضة بالقوة والثقة والحب .. العامرة بالذكريات والآمال والآلام والمفاجآت ) <sup>٢</sup> .

١- ينظر : مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ٨٨ - ٩٨ .

٢- المصدر نفسه : ١ / ٩٨ .

حينما أوشكت السنة الثانية لكلية الطب على الإنتهاء ، أي في بداية صيف " ١٩٥٤ م " أعلنت كلية الطب عن رحلة إلى عدد من الدول العربية هي لبنان وسوريا والأردن وفلسطين " الضفة الغربية التي لم تكن قد احتلت بعد " ، وكانت رغبة نجيب في الإشتراك فيها شديدة ؛ فهو لم يكن قد سافر إلى خارج مصر من قبل ، ولكنه كان يشك في موافقة والده على هذه الرحلة بسبب المصاعب المالية التي تعانيها الأسرة ، وغمرته سعادة كبيرة عندما قال له والده : (سأدبر لك المبلغ الذي يكفي .. وآمل أن تنجح في هذه السنة الصعبة ..) <sup>١</sup> .

كان مكنم الصعوبة في السنة الثانية لكلية الطب أن الإمتحان يشمل مقررات عامين " الاولى والثانية " ، ووفقه الله ونجح في الإمتحان ووفى الوالد بوعده ، وسافر نجيب إلى الإسكندرية ، ثم صعد هو وجميع المشاركين في الرحلة إلى إحدى البواخر اليونانية المتجهة إلى " قبرص " وأبحرت الباخرة ...

(وبدت لنا من بعيد شواطئ قبرص كانت تتجلى في غيش الفجر غامضة جميلة منعشة ، ورقصت قلوبنا من الفرح .. هذه أول بقعة غير مصرية تقع عليها أعيننا) <sup>٢</sup> .

وفي اليوم نفسه أبحرت الباخرة من جديد حتى وصلوا إلى بيروت .. وبعد أيام قليلة قام الطلاب بزيارة الجامعة الأمريكية وكلية الطب بالذات للتعرف على الفرق بين كلية الطب في القاهرة وصنوها الأمريكية في لبنان .

وانتهت أيام زيارة لبنان فركبوا الحافلة واتجهوا إلى دمشق ( كان شعورنا ونحن في دمشق أننا لم نخرج من القاهرة ، وتجولنا في أنحاء سوريا ، وفي مختلف مدنها ومحافظاتها اللاذقية .. حلب .. حماة .. حمص .. دير الزور .. ومشينا على شواطئ بردى ونهر العاص ، وفي كثير من القرى الصغيرة ) <sup>٣</sup> .

ومن سوريا سافروا إلى "عمان " وبعدها إلى الضفة الغربية وبخاصة القدس

١- مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٣٩ .

٢ - المصدر نفسه : ١ / ١٤٠ .

٣ - المصدر نفسه : ١ / ١٤٦ .

( وذهبنا لزيارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، أية مشاعر تجتاح الإنسان المؤمن وهو يخطو داخل فناء المسجد العريق حيث يفوح عطر التاريخ ، وأيام المجد العظيمة )<sup>١</sup> .

استطاعت المجموعة أن تلم بالكثير عن الأوضاع العربية الفلسطينية ، التي زرعت في قلوبهم الألم ، وعادوا مرة أخرى إلى بيروت ثم إلى مصر ، وقد استغرقت رحلة العودة من ميناء بيروت إلى القناة أقل من يوم<sup>٢</sup> .

وحينما انهى نجيب الكيلاني السنة الثالثة من كلية الطب انتقل إلى السنة الرابعة ، وفي أثناء قضاء العطلة الصيفية في شرشابة تم اعتقاله في ٦ أغسطس ١٩٥٥ م ، بتهمة الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين .. لقد عانى نجيب الكيلاني قبل أن يحقق معه من أنواع الإهانات والتعذيب في السجن الحربي ، وكان هذا حال كل من يعتقل لإسباب سياسية ، ( وحانت ليلة التحقيق .. سمعت أسمى يججلج ليلاً في ساحة السجن .. كان الصمت يرين على المكان .. وعينا زائغتين<sup>٣</sup> لا تريان شيئاً على وجه التحقيق .. كل ما أمامي يبدو كأشباح الرؤى .. "سريعاً مارش" ، قالها العسكري ، فجريت .. بين السجون الحربية الأربعة .. لم أكن أشعر بأدنى ألم للسيط التي تهوي على جسدي من الخلف ... وأخيراً وصلت إلى الساحة الرهيبة .. )<sup>٤</sup> .

وقضى نجيب في معتقله في السجن الحربي قرابة ثلاثة اشهر ، ثم تم ترحيله بعدها إلى المحكمة التي حكمت عليه بالسجن عشر سنوات مع النفاذ . أودع في سجن مصر أو كما يسمونه قره ميدان ، يقول عن هذا السجن ( في الإمكان أن أسمى الفترة القصيرة التي قضيناها في سجن مصر فترة استجمام لحد ما ، إذ لا

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٥١ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٥٣ .

٣ - وردت في الأصل ( زائغتان ) والصواب ما أثبتناه .

٤ - المصدر نفسه : ١ / ١٧٢ .



يوجد فيه سياط وزبانية وتحقيق ودماء ، على الرغم من رداءة الطعام ، وعدم مغادرة الزنازين إلا في الأيام الأخيرة <sup>١</sup> .

وكانت الأيام تمر على نجيب مملة بطيئة ، وكان يلح على ذهنه سؤال ، هل نظل على هذا الوضع عشر سنوات ؟

وجواب هذا السؤال ما يعلمه إلا الله ولكن الشيء المؤكد أن دوام الحال من المحال ، هذه مشيئة الله في خلقه .

ونقل نجيب من سجن قرة إلى سجن أسيوط البعيد عن قريته وعن أهله يقول :

( وصلنا إلى أسيوط بعد العصر ...

لأول مرة في حياتي أرى أسيوط ..

أين شرشابة قريتي النائبة الآن من أسيوط ؟

وهل سيتكبد أبي المشاق في قطع هذه المسافة الطويلة لزيارتي ؟ <sup>٢</sup> .

قد يمر بالإنسان يوم يبدو للوهلة الأولى يوماً اعتيادياً ، ويكتشف بمرور الوقت أن هذا اليوم كان سبباً في تغيير حياته بالكامل ، وهذا ماحدث للكيلاني ، عندما جاءه أحد الزملاء وأعطاه مجله " الرسالة الجديدة " حصل عليها من زواره القادمين من القاهرة ..

كان في هذه المجلة إلى جانب الموضوعات الأدبية إعلان عن مسابقة أدبية كبرى في مختلف مجالات الأدب ، تجريها وزارة التربية والتعليم كل سنة ، وترصد لها جوائز ضخمة <sup>٣</sup> .

قرر نجيب الكيلاني التقدم للمسابقة الأدبية بكتابين ، الأول جاهز بالكامل وهو عن الشاعر الفيلسوف " محمد إقبال " ، أما الثاني فهو رواية تحت عنوان " الطريق الطويل " وكان من شروط الرواية أن تمتد أحداثها حتى معركة السويس ، يقول عن ظروف كتابة هذه الرواية : ( وقد استطعت بحمد الله إنجاز الرواية في فترة

١ - مذكرات نجيب الكيلاني : ١ / ٢٠٢ .

٢ - المصدر نفسه : ١ / ٢١٢ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٧ .

لا تزيد على<sup>١</sup> ثلاثة أسابيع وهو رقم قياسي في تصوري ، ولعل ذلك راجع<sup>٢</sup> للإستعداد النفسي ووفرة الأحداث وعمق التجارب التي تتصل بهذا الموضوع ، وانتعاش الأمل بعد ان أظلمت الآفاق ، وكاد اليأس يستحكم<sup>٣</sup> .

وقد ساعده أحد زملاء السجن من أصحاب الخط الجميل في نسخ الكتابين ، أما التسجيل في المسابقة فقد قام سجين كان ضابطاً في الجيش بالإتصال بباشكاتب السجن ، وتم الأمر بسرية ودون معرفة الإدارة ، لم يبق سوى إنتظار النتيجة التي تستغرق شهوراً نظراً لضخامة المسابقة .

في هذه الشهور تم نقل الكيلاني من سجن أسيوط إلى سجن القناطر الخيرية، وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٥٧ م<sup>٤</sup> .

في السجن الجديد وصل الخبر للإدارة بفوز الكيلاني بجائزة وزارة التربية والتعليم عن كتابيه ، فقد حصل على الجائزة الأولى في التراجم والسير ، والجائزة الأولى عن مسابقة الرواية .

كان الوضع في سجن القناطر أفضل منه في سجن أسيوط ، فقد سمح له بالأفلام والأوراق كما سمح له بدخول المكتبة ، مما أثمر عن فوزه للسنة الثانية على التوالي بنيل جائزة وزارة التربية والتعليم هذه المرة عن ثلاثة كتب هي : الأول عن حياة أمير الشعراء شوقي ، والثاني المجتمع المريض ، والثالث رواية في الظلام<sup>٥</sup> .

كان الكيلاني في هذا الوقت يعاني من كسر قديم في عظم الساق ، مما أصاب عظم الفخذ بالضمور ، وآلام مزمنة بالركبة ، وعندما زار طبيب السجن ، كتب الطبيب تقريراً ، بأن حالته تستدعي علاجاً على يد أخصائي في القصر العيني ، فوافقت الإدارة ، وذهب الكيلاني إلى المستشفى مقيداً ، وبرفقة حرس ، وهو

١- وردة في الأصل ( عن ) والصواب ما أثبتناه .

٢ - ورد في الأصل ( راجعاً ) والصواب ما أثبتناه .

٣ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ٢ / ٢٦٨ .

٤- ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٨ .

٥ - ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٩ - ٢٧٧ .

موقف فيه كثير من التراجيديا يقول : ( عندما ذهبت إلى القصر العيني ، وقفت جيش العواطف ، ففيه كنت ألتقى دراساتي الطبية .. المباني التي عشت فيها سنوات عمري ، الأساتذة الكبار الذين نسي أغلبهم أسمى ورسمي ، زملاء الدراسة وقد تخرجوا وأصبحوا أطباء امتياز ... تبدو أمارات الألم الشديد على وجوههم وهم يرون يدي في الأغلال )<sup>١</sup> .

كان على الكيلاني أن يذهب لتلقي العلاج في القصر العيني مرتين في الأسبوع . وفي أحد الأيام أخبروه في السجن بأنهم ، سوف يقومون بأخذه إلى مقر نادي القصة لتسلم جائزته من وزير التربية والتعليم بنفسه ، وكان مدير السجن مهتماً شخصياً بالموضوع ، فأحضروا له بدلة خواجة أجنبي متهم بتهريب العملة ، وحلقاً ، عن هذا اليوم المشهود يقول نجيب : ( دخلت نادي القصة بمقر نادي الأدباء " ٦٨ شارع القصر العيني " بجواري المخبران ، وأمامي الضابط المكلف بحراستي من قبل مصلحة السجون ، في زيه المدني ، كان النادي غارقاً في الأضواء ، مكتظاً بشباب الأدباء ... ولم يتركني الضابط حراً وسط هذه الجمهرة وإنما أخذني إلى سكرتارية المرحوم الأستاذ يوسف السباعي ، حيث يجلس الأديب الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، والسكرتير " حسين رزق " ...

وحضر وزير التربية والتعليم السيد كمال الدين حسين وسط عاصفة من التصفيق ، ثم قام بتسليمنا الجوائز ، وقد أبدى اهتماماً ملحوظاً بي عندما جاء دوري )<sup>٢</sup> .

وأخيراً تم الإفراج عن نجيب الكيلاني لأسباب صحية ، بعد أن جاءت لجنة طبية مشكلة من عدد من الأطباء ، أقرت سوء حالته الصحية ، ويقول عن لحظة الإفراج :

( وحانت لحظة الخروج مساءً بعد صلاة العشاء ، وودعت أعز الأحباب داخل السجن وأنا أبكي من جديد ، كنت أشعر أن فرحتي ناقصة ، وأني لن أستطيع

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ٢ / ٢٧٨ .

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٢٨١ .

مهما فعلت أن أمحو صورة هؤلاء الأحباب من ذاكرتي ، حتى إني بعد ذلك لا أكاد أكتب رواية إلا وفيها شيء من ذلك إلا النادر )<sup>١</sup> .

لم يكن السجين الوحيد المفرج عنه في ذلك اليوم ، لقد كان معه عدد من السجناء تم الإفراج عنهم في اليوم نفسه ، وكانت الساحة المقابلة لباب السجن تغص بأهالي المفرج عنهم ، وعندما خطوا خطواتهم الأولى خارج السجن تعالت الزغاريد وامتدت الأيدي بالأحضان ، كانت عينا نجيب تبحثان عن والده ، لقد كان الوالد يصلي صلاة شكر لله ، فكان على نجيب ان ينتظر لحظات حتى يهوي على يد أبيه لثماً وتقبيلاً ، بينما يتلقفه والده بالدموع والأحضان يقول الكيلاني عن تلك اللحظة : ( إني أبكي الآن وأنا أسجل هذه الكلمات ... و . )<sup>٢</sup> .

ويبدو من النقاط الموضوعية أن الكيلاني اجتاحتها موجة عاطفية شديدة لم يستطع أن يعبر عنها بالكلمات ؛ لذلك ترك للقارئ استنتاج قوة المشاعر بما لا تستطيع الكلمات وصفه .

لقد استقبلته القرية بما يشبه العرس ، يقول عن هذا الاستقبال : ( رأيت حشداً هائلاً من أهل البلدة .. كانت السيارات تشق طريقها بصعوبة .. إنه مشهد لم أره طول حياتي بعد ذلك .. لم أكن زعيماً من الزعماء ، ولا عضواً في البرلمان ، ولا حتى موظفاً ذا شأن .. مجرد طالب في كلية الطب .. وابن رجل فقير يشتغل بالزراعة .. تلك هي القرية .. حب .. وتلاحم ، إخلاص ووفاء ، فطرة صادقة ترفض الظلم ، وعندما يدخل الفرخ بيتاً تفرح القرية كلها ، وعندما يلامس الحزن قلوب أسرة من الأسر ، تحزن القرية كلها .. )<sup>٣</sup> .

وللحياة في خارج السجن شواغل تختلف عن مثيلاتها داخله ، فهناك أمور عدة شغلت بال الكيلاني من أهمها ، عودته للدراسة في كلية الطب ومحاولة تعويض ما فاتته من سنوات ، والأمر الآخر هو المضي قدماً في عالم الأدب ، وهناك أمر

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ٢ / ٣٠٠ .

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٣٠١ .

٣ - نفسه : ٢ / ٣٠١ .

بالغ الأهمية ، هو أمر الزواج ، فقد كان نجيب قد بلغ من العمر ما يجعل تكوين أسرة من الضروريات الحياتية ، وهناك أمر أخير هو محاولة التعامل مع القيود السياسية بلباقة وحكمة ..

واستطاع الكيلاني بالصبر والمثابرة تحقيق كل ما خطط له .

فلقد كان من السهل عليه أن يواصل كتاباته الأدبية ويتعرف بالمجتمع الأدبي في تلك الحقبة ، وهو الذي ولج عالم الأدب عن طريق الجوائز ، فقرر أن يحضر ندوة الأديب الكبير " نجيب محفوظ " التي كان يطلق عليها " الحرافيش " وكانت تعقد في كل يوم جمعة ، وسرعان ما تعرف عليه الأدباء يقول : ( لم أكن لأتغيب عن الندوة إلا لعذر شديد ، وإذا غبت ، وهو نادر الحدوث ، اتعرض لسين وجيم ، وأصبحت جلستي في مواجهة الأستاذ نجيب محفوظ مباشرة ، لماذا ؟ لأنه بمرور الوقت كلفني الأستاذ نجيب محفوظ بقراءة الكتب التي ترد إليه وإلى الندوة من المؤلفين ، كي نناقش واحداً منها في الجلسة القادمة .. )<sup>١</sup> .

واستمر الكيلاني في التطور والإرتقاء في المجال الأدبي ، حتى اختاره اتحاد الكتاب في مصر ليكون أحد أعضائه المشاركين في مؤتمر " كتاب آسيا وأفريقيا " ، الذي عقد في شهر فبراير ١٩٦٢ م ، ولقد تحدد يوم يلتقي فيه الأدباء مع الرئيس " جمال عبد الناصر " ، وكان هذا المؤتمر يضم خيرة الكتاب في الوطن العربي<sup>٢</sup> .

هذا في الجانب الأدبي أما في الجانب الأكاديمي ، فقد رجع الكيلاني إلى مقاعد الدراسة في كلية الطب ، على الرغم من الصعوبات التي اكتتفت مسيرته الدراسية ، فقد كانت سنوات السجن كفيلة بجعله يبتعد عن عالم الطب ، مما حتم عليه بذل جهدٍ استثنائي لصعوبة الدراسة في كلية الطب .

١ - لمحات من حياتي ، الدكتور نجيب الكيلاني ، القسم الرابع ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، ١٩٩٤ م : ٣١ .

٢ - المصدر نفسه : ٤ / ٥٥ .

اصبح لنجيب الكيلاني دخل معقول ، خصوصاً بعد أن قررت وزارة التربية تدريس بعض كتبه لطلبة المدارس ، كرواية " اليوم الموعود " ، وقد كانت بعض الصحف والمجلات تنشر له ، مما وفر له دخلاً لا بأس به ، وهكذا قرر الكيلاني إكمال نصف دينه ، وتزوج قبل أن يتخرج ببضعة شهور يقول عن حياته الزوجية:

(وفي العام الأول من الزواج رزقنا الله بابننا البكر حسام الدين ، وفي العام الثاني بابنتنا الطاهرة النقية الوفية " عزة " طبيبة النساء والولادة ، وفي العام الرابع جاء الإبن جلال الدين صاحب الخلق القويم ، والصدق والإخلاص ، وهو طبيب متخصص في أمراض القلب ، أما الأصغر محمود فلم يأت إلا في العام التاسع من الزواج وقد ولد في مدينة دبي ، وهو حامل ليسانس الحقوق ، فاتني أن أذكر أن ولدنا الأول تخرج من كلية العلوم قسم الفيزياء والرياضيات )<sup>١</sup> .

وبعد التخرج كان عليه أن يخدم في إحدى القرى الريفية ، التابعة للإدارة الطبية في محافظة الغربية ، فطلب المسؤولون منه أن يختار إحدى البلدات ، فلما لمحووا عليه التردد قالوا له إن عمله سيكون في قرية " كنيسة دمشيت " ، وهنا خطر في ذهنه لماذا لا يعمل في قريته شرشابة ؟ وعرض الأمر على المسؤولين وحصلت الموافقة<sup>٢</sup> .

التحق الكيلاني بالوحدة الصحية في قريته ، وسعد برفقة أهله ، والناس البسطاء الذين تعاطفوا معه في محنته ، فعزم الأمر على أن يرد إليهم الجميل ، فكرس كل وقته لمعالجة المرضى بكل دقة وتأن ، مما أكسبه شهرة واسعة جعلت المرضى يقصدونه من القرى المجاورة لشرشابة ، لكن لابد للنجاح والشهرة من ضريبة ، دفعها الكيلاني من مضايقات ومشاكل كثيرة في العمل لا مجال لذكرها هنا يقول عن ذلك الوقت ( وتفرغت لكتابة رواية " الذين يحترقون " ألجأ إليها فقط في

١ - لمحات من حياتي : ٤ / ١٠٢ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ١٠٥ .

المساء وأسجل بعض الصفحات .. وقد تضمنت هذه الرواية الكثير مما جرى لي في هذه التجربة ، فكأنها جزء من السيرة الذاتية ( ١ ) .

وصدر أمر نقل الدكتور نجيب إلى القاهرة في عمل تابع لوزارة النقل والمواصلات ، ونفذ الكيلاني النقل وسط حزن الأهل والأحباب لفراقه .

وتسلم العمل ، ولم يمر عليه وقت طويل فيها حتى انتدب لمدة أسبوع في القسم الطبي في "أبو زعل" ، فاعجبته المدينة الهادئة وناسها الطيبون ، وعندما طلب منه أهل القرية ان ينتقل إليهم بصفة دائمية لم يتردد في عرض الأمر على المسؤولين ، فوافقوا على الطلب ، وهكذا انتقل نجيب الكيلاني مع عائلته إلى هذه المدينة يقول عن مدة اقامته في هذه المدينة : ( كانت السنوات التي قضيتها في المدينة السكنية بأبي زعل من أحلى سنوات العمر ، ففي الشهور الأولى توثقت علاقتي بالعمال والموظفين ، وأستطعت أن اتفهم الأوضاع في هذا الموقع الصناعي الهام ، بل وفي البلدان المجاورة ، وقد ساعدني على سرعة التأقلم معهم أن عدداً منهم كانوا يتابعون كتاباتي في الصحف والمجلات ، وأن جيلاً من أبنائهم كانوا يدرسون روايتي المقررة في المدارس ) ( ٢ ) .

وفي أثناء عمله في القسم الطبي ب "أبو زعل" أنتدب مرتين للعمل خارجه ، مرة لمدة شهرين في مدينة الإسكندرية ، والأخرى إلى أسوان أقصى جنوب مصر ، خلال بناء السد العالي ، وفي هذا الإنتداب الأخير ذهبت معه زوجته .

وفي أحد الأيام اصطحب زوجته إلى موقع العمل في السد ، وأخذ الأذن في التجول في داخل أحد الأنفاق الضخمة الآمنة ، عندها قال لزوجته : ( إن هذا المكان الذي نسير فيه سوف تغمره المياه بعد ذلك ، ولن يمشي فيه أحد حتى مئات ، بل آلاف السنين .. هذه فرصة تاريخية أقول بأمانة وصدق أنني أخذت بروعة هذا

١ - لمحات من حياتي : ٤ / ١٢٠ .

٢ - المصدر نفسه : ٤ / ١٦٢ .

العمل العظيم ، وكنت سعيداً بأن أقضي في رحابه ، ما يقرب من شهر ونصف على دفعتين ( ١ ) .

ورجع إلى القسم الطبي في " أبو زعبل " ، وسارت الحياة هادئة والأمور المادية ما بين مد وجزر ، وكان الكيلاني وعائلته قانعين راضين بكل ذلك إلى ان جاء صيف ١٩٦٥ ، لقد توترت الأوضاع السياسية في مصر وكثرت الإعتقالات ، وتوجس الكيلاني وعائلته من عواقب الأمور ، وعندما طلب منه أحد الإصدقاء - وهو عضو ناشط في جماعة الإخوان المسلمين - الذهاب إلى مصيف " بلطيم " الذي يتميز بالحشمة والهدوء والجو النقي ، وافق الكيلاني ، وذهبا برفقة عائلتيهما ، وكان لها أن تكون سفرة ممتعة لولا أن المباحث العامة جاءت واعتقلت صديقه ، عاد الكيلاني مع عائلته إلى بيته وهو في حالة من الهم والكدر ؛ فقد كان يتوقع في أية لحظة أن يلقي القبض عليه ، ويواسي نفسه وزوجته بأنه لم يرتكب شيئاً يؤاخذ عليه ، فهو قد ابتعد عن النشاط السياسي منذ خروجه من السجن .

لكن حصل المحذور وتم اعتقاله في صبيحة السادس من شهر سبتمبر ١٩٦٥ .. ٢ كان السبب في هذه المرة ، انه صدر أمر من جهات عليا باعتقال كل من اعتقل لأسباب سياسية سابقاً ، وأعيدت حكاية السجن من أولها إلى آخرها ، وقد خصص الكيلاني لسرد معاناته " القسم الخامس " من كتابه " لمحات من حياتي " ، نورد مقطعاً مما قاله بين دفتي هذا الكتاب عن عدد السجون التي دخلها :

( عندما أعود إلى الماضي خاصة عام ١٩٥٥ أذكر ان أول سجن دخلته كان السجن الحربي ، أما السجن الثاني فقد كان سجن مصر " قره ميدان " ، وبعدها في أواخر عام ١٩٥٥ تم ترحيلي إلى سجن أسيوط وهو السجن الثالث ، وبقيت في هذا السجن حتى أغسطس ١٩٥٧ على ما أذكر ، وبعده انتقلت إلى سجن القاهرة حيث تم الإفراج الأول عني منه . وفي عام ١٩٦٥ جئت مرغماً إلى أوردي أبو زعبل وهو السجن الخامس ، ثم إلى معتقل أبو زعبل الجديد الذي

١ - لمحات من حياتي : ٤ / ١٩٧ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٢٤٢ - ٢٦٢ .



أكتب عنه الآن ، أما ذهابي إلى السجن السابع والأخير فقد كان في عام ١٩٦٦ وهو " مزرعة طرة " <sup>١</sup> .

وفي أحد ايام الثلث الأخير من شهر نوفمبر عام ١٩٦٦ ، ودون سابق انذار ، انطلق النداء من مكبر الصوت يطلب من الجميع الإنصات ، وبدأ الصوت يذكر أسماء المعتقلين بالتتابع ، وكان اسم الكيلاني من ضمن هذه الأسماء ، وهم في حيرة من أمرهم ، لا يعرفون ما معنى هذه القائمة من الأسماء ، حتى جاء أحد المعتقلين الأطباء ، كان يساعد طبيب السجن وأخبرهم بأن هذه القائمة هي أسماء الوجبة الأولى من المفرج عنهم ، يقول الكيلاني عن تلك اللحظة : ( لحظات لا يمكن وصفها بدقة ، أصدق ما يقال عنها إنها نوبة من نوبات الفرح الهستيري ، وتنهدت في ارتياح ، واخيراً سأعود لأولادي وزوجتي واهلي ، سأذهب إلى قريتي وأبي وامي ، وسألتحق بعملتي الذي أحبه ، والتقي بأصدقائي العمال وأبدأ حياة جديدة .. سبحان مغير الأحوال ) <sup>٢</sup> .

وعندما تم الإفراج كان في نية الكيلاني الذهاب إلى قريته فوراً ، غير أنه وجد نفسه وسط حشد هائل من العمال والموظفين ، تركوا أعمالهم وأقاموا الزينات الكهربائية والأعلام ، والزغاريد تتعالى ، لذلك وجد من غير اللائق أن يترك هؤلاء الناس الطيبين فارسل برقية إلى أهله بأنه قد أفرج عنه وسوف يأتي إليهم بعد غد .

وفعلاً ذهب نجيب الكيلاني إلى قريته ليجد والده توسط صيواناً كبيراً في احتفالية بقدوم الابن الغائب دعا إليها أهالي القرية ، والأهل والأحباب .  
وبعدها انتظم في عمله في القسم الطبي بالمدينة السكنية بأبي زعل ، ولكنه قد حزم أمره على السفر إلى خارج مصر ، إلا أن الموافقة على السفر أكتفتها صعوبات كثيرة ، حتى تمت الموافقة .

١ - لمحات من حياتي ، القسم الخامس ، الدكتور نجيب الكيلاني ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، ١٩٩٤ م ، : ١٠٦ .

٢ - المصدر نفسه : ٥ / ١٦٤ - ١٦٥ .

وفي يوم الواحد والثلاثين من شهر مارس عام ١٩٦٨ كان الكيلاني يستقل السيارة يرافقه اخوه أحمد لتوصيله حتى المطار يقول :

( وكنت أتطلع عبر نافذة السيارة إلى البيوت في القرية وإلى وجوه الفلاحين السمرء ، والصبايا يحملن الجرار على رؤوسهن ، وأشجار السرو والتوت والجميز ، كأني ألقى تحية الوداع لكل ما تقع عليه عيني )<sup>١</sup> .

وفي خارج مصر ما بين الكويت والإمارات قضى نجيب قرابة ربع قرن ، وحين أكمل القسم الخامس من " لمحات من حياتي " في عام ١٩٩٤ ، لم يمهلہ المرض حتى يكتب مزيداً من اللوحات من حياته عن أيامه في هذين البلدين ، وهي مدة حافلة بالنتاج النقدي والإبداعي ، وكان يحضر المؤتمرات ، وبعض الندوات الأدبية بين الحين والآخر ، وقد كان يشرف على بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية في دولة الإمارات ، خصوصاً البرامج الدينية والتوعية الصحية .. وغيرها من النشاطات المتنوعة والمختلفة .

إلى آخر عمره كان الكيلاني يحس بآلام الشعوب العربية وجراحات الأمة الإسلامية ، فها هو ذا يبكي بغداد ودمشق والقدس الشريف حين يقول :<sup>٢</sup>

ليلاي في (بغداد ) جدّ مريضة تشكو إعتلال الروح والأبدان  
ليلاي في دنيا ( الشّام ) عليّة تبكي حطام المجد في الجولان  
ليلاي في ( القدس الشريف ) تبكي العفّاف بدمعها الهتان

بعد ثلاث وعشرين سنة من العمل في المجال الطبي في دولة الإمارات ، أحيل نجيب الكيلاني على التقاعد في عام ١٩٩٢ م ، وعاد إلى مصر ، إلى القاهرة وشرشابة وطنطا ، إلى الأهل والأحباب ، وما لبث أن أصيب بمرض خبيث ،

١ - لمحات من حياتي : ٥ / ٢١٠ .

٢- ينظر : الخطاب النقدي عند نجيب الكيلاني ، ديوالي حاجي جاسم علي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ م ، ٣٤ .

على أثره أجريت له عدة عمليات جراحية ، إلى أن وافاه الأجل في الخامس من شوال عام ١٤١٥ هجرية ، الموافق السادس من آذار / مارس عام ١٩٩٥ م ، بمدينة طنطا التي طالما أحبها ، رحمه الله <sup>١</sup> .

---

١ - ينظر : الخطاب النقدي عند نجيب الكيلاني : ٣٥ . وكذلك ينظر : ملامح الشخصية الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني السياسية : ٨٢ ، و ينظر : صورة المرأة في قصص نجيب الكيلاني : ١٩ - ١٧ .

## المبحث الثاني : أدب نجيب الكيلاني

### أولاً : آثار نجيب الكيلاني

نجيب الكيلاني طبيب وشاعر وناقد وروائي ؛ فهو أديب شامل إذا صح التعبير ، لقد كتب في مختلف المجالات ، وفي معظم الأجناس الأدبية من شعر ورواية ومجاميع قصصية ومسرحيات ومقالات فكرية وأدبية ، فضلاً عن مؤلفاته النقدية والفكرية والطبية وفيما يأتي عنوانات مؤلفاته :<sup>١</sup>

#### • الروايات

- ١- إبتسامة في قلب الشيطان
- ٢- أرض الأنبياء
- ٣- اعترافات عبد المتجلي
- ٤- امرأة عبد المتجلي
- ٥- أميرة الجبل
- ٦- حارة اليهود ( دم لفطير صهيون )
- ٧- حكاية جاد الله

- 
- ١- هذه المعلومات استقتها الباحثة من دراسات جامعية عن الأديب نجيب الكيلاني وهي :  
 أ - ملامح الشخصية الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني السياسية (دراسة تحليلية) ، عبد الناصر المنتصر بالله محمد محمود ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٨ م : ٨٣ - ٨٧ .
  - ب - الشخصية في سلسلة روايات إسلامية معاصرة لنجيب الكيلاني ، أحمد طه أحمد الشعبي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ م : ٢٧ - ٣٢ .
  - ج - صورة المرأة في قصص نجيب الكيلاني ( دراسة نقدية تحليلية ) ، حنان بنت جابر عبد الرحمن الحارثي ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠ م : ١٨ - ٢٢ .

- ٨- حمامة السلام
- ٩- الذين يحترقون
- ١٠- رأس الشيطان
- ١١- الرايات السوداء
- ١٢- الربيع العاصف
- ١٣- رحلة إلى الله
- ١٤- الرجل الذي آمن
- ١٥- رجال وذئاب
- ١٦- رمضان حبيبي
- ١٧- الظل الأسود
- ١٨- الطريق الطويل
- ١٩- طلائع الفجر
- ٢٠- عذراء القرية
- ٢١- عذراء جاكرتا
- ٢٢- على أبواب خيبر
- ٢٣- عمالقة الشمال
- ٢٤- عمر يظهر في القدس
- ٢٥- في الظلام
- ٢٦- قاتل حمزة
- ٢٧- قضية أبو الفتوح الشرقاوي
- ٢٨- الكأس الفارغة
- ٢٩- لقاء عند زمزم
- ٣٠- ليالي تركستان
- ٣١- ليالي السهاد
- ٣٢- ليل وقضبان ( ليل العبيد )
- ٣٣- ليل الخطايا

- ٣٤- مذكرات الكلب شملول
- ٣٥- ملكة العنب
- ٣٦- مملكة البلعوطي
- ٣٧- مواكب الأحرار ( نابليون في الأزهر )
- ٣٨- النداء الخالد
- ٣٩- نور الله ج ١
- ٤٠- نور الله ج ٢
- ٤١- اليوم الموعود

### • المجموعات القصصية

- ١ - حكايات طبيب
- ٢ - دموع الأمير
- ٣ - العالم الضيق
- ٤ - عند الرحيل
- ٥ - فارس هوازن
- ٦ - الكابوس
- ٧ - موعدا غداً

### • المسرحيات

- ١ - حسناء بابل
- ٢ - الجنرال علي
- ٣ - على أسوار دمشق
- ٤ - سرايفو حبييتي
- ٥ - محاكمة الأسود العنسي
- ٦ - الوجه المظلم للقمر

### • الدواوين الشعرية

- ١ - أغاني الغرباء
- ٢ - أغنيات الليل الطويل
- ٣ - عصر الشهداء
- ٤ - كيف ألقاك ؟

٥- لؤلؤة الخليج

٦- مدينة الكبائر

٧- مهاجر

٨- نحو العلا

### • المؤلفات الأدبية العامة

- ١- أدب الأطفال في ضوء الإسلام
- ٢- آفاق الأدب الإسلامي
- ٣- الإسلامية والمذاهب الأدبية
- ٤- الإسلام والقوى المضادة
- ٥- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق
- ٦- الإسلام وحركة الحياة
- ٧- إقبال الشاعر الثائر
- ٨- أعداء الإسلامية
- ٩- تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية
- ١٠- المجتمع المريض
- ١١- حول القصة الإسلامية
- ١٢- حول المسرح الإسلامي
- ١٣- حول الدين والدولة
- ١٤- رحلتي مع الأدب الإسلامي
- ١٥- الرافعي في موكب البعث
- ١٦- شوقي في ركب الخالدين
- ١٧- الطريق إلى اتحاد إسلامي
- ١٨- القصة الإسلامية واثرها في نشر الدعوة
- ١٩- قضية الثقافة في ضوء الإسلام
- ٢٠- لمحات من حياتي " خمسة أجزاء "

- ٢١- نحن راية الإسلام
- ٢٢- نحن والإسلام
- ٢٣- مدخل إلى الأدب الإسلامي

### • المؤلفات الطبية

- ١ - احترس من ضغط الدم
- ٢ - التحصين وقاية لطفلك
- ٣ - التيفوئيد
- ٤ - الثقافة الصحية
- ٥ - الجدري والجديري
- ٦ - الدفتيريا عدو الأطفال
- ٧ - الدواء سلاح ذو حدين
- ٨ - الدين والصحة
- ٩ - رعاية المسنين في الإسلام
- ١٠ - الصوم والصحة
- ١١ - الغذاء والصحة
- ١٢ - في رحاب الطب النبوي
- ١٣ - مستقبل العالم في صحة الطفل
- ١٤ - الصحة للجميع
- ١٥ - الطب والحياة
- ١٦ - التنقيف الصحي و دوره واهميته



هذا فضلاً عن كثير من المقالات التي كان ينشرها في بعض الصحف والمجلات منها ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ومجلة الأمة ، ومجلة المجتمع وغيرها من المجلات والصحف .

ومن ذلك نكتشف مدى ضخامة الإرث الذي تركه الأديب الدكتور نجيب الكيلاني ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثراء ثقافته وخصوبة معلوماته ، وعلى مثابرة على العطاء وإصرار لا حدود له .

### ثانياً : المؤثرات الأساسية في أدب الكيلاني :

الكيلاني الأديب مثله مثل غيره من الأدباء اشتركت روافد متعددة في تكوين إبداعه، حتى ظهر أدبه على الصورة التي رأيناها فيها ، ومن أهم هذه الروافد :

#### • الأسرة والبيئة

ذكرنا سابقاً أن الكيلاني نشأ في أسرة تعمل في الزراعة ، في قرية " شرشابة " وهي من القرى النائية عن روافد الثقافة ، إذ لا توجد فيها مكتبات ولا أندية أدبية ، حتى الصحف اليومية والمجلات كانت نادرة جداً <sup>١</sup> .

لقد كانت أسرة الكيلاني محبة للعلم ، وإن لم تضم من المتعلمين غير القليل ، فقد كان والده وجداه يحثونه على مواصلة الدراسة ، يقول :

( وكما فعل جدي لأبي عند الذهاب إلى مكتب القرية ، فعل جدي لأمي ، إذ أخذني إلى المدرسة الابتدائية بسنباط بنفسه ، وسجلني فيها بعد أن أقنع والديّ اللذين كانا خائفين من الأعباء المالية الكثيرة للتعليم ) <sup>٢</sup> .

أما والده فقد حاول بكل جهده أن يوفر المال اللازم على وفق المتيسر ، حتى يتمكن نجيب من مواصلة الطريق الدراسي يقول :

١ - ينظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني : ٩ .

٢ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٧ .

( ومنعت من الذهاب إلى الحقل ، وأصبح من المألوف أن ألبس الجلباب الأبيض النظيف ، وامسك بيدي كتاباً أو مجلة أو صحيفة يومية ، أو أهرول إلى الملاعب الرياضية ، وأصبح الأصدقاء غير الأصدقاء ، والهموم غير الهموم ، والآمال غير الآمال ، لكن كيف أنسى أنني كنت ألتهم قدراً كبيراً من دخل الأسرة بسبب نفقات تعليمي ، وخاصةً عندما ذهبت إلى المرحلة الثانوية في طنطا ، وإلى جامعة فؤاد الأول في القاهرة ... وإني لأذكر أنه في بداية كل عام جامعي ، كان أبي يعطيني نصف ثمن محصول القطن دفعة واحدة ، ويطلب مني أن أنفق منه بحساب طوال العام الدراسي )<sup>١</sup> .

ويبدو أن والدته الكيلاني كان لها ميول أدبية بالفطرة ، فقد كانت تروي لنجيب حكايات عن جرائم واقعية ، وأخرى عن مكائد النساء وخيانتهم مثل قصة " ريا وسكينة " ، وقصة " أدهم الشرقاوي " ، و " ألف ليلة وليلة " وغيرها من القصص ، وربما كانت لها القدرة على نظم الشعر ، فعندما خرج الكيلاني من السجن في المرة الثانية ، قال لو الدتته :

( هل ألفت أشعاراً جديدة ؟ )

- طوال الليل أشعار ودموع وصلاة ودعاء )<sup>٢</sup> .

نستنتج من سؤال الكيلاني ، أن أمه كان لها أشعار قديمة ، وهو يسألها عن الجديدة في مدة سجنه ، ولكننا لانعرف نوعية هذه الأشعار ، وأغلب الظن أنها أشعار تنتمي للشعر الشعبي .

أما عمه عبد الفتاح ، فقد كان يصفه بقوله : ( لقد كان عمي بحق هو المورد الأول لثقافتني ، وهو الذي أخذ بيدي إلى التزود من الثقافة العامة )<sup>٣</sup> ، لقد كان المتعلم الوحيد في الأسرة ، كان ينكب على كتب المنفلوطي والرافعي

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ٣٣ .

٢ - لمحات من حياتي : ٥ / ١٧٤ .

٣ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٥ .

ودواوين شوقي ومسرحياته ، لذلك تسنى لنجيب قراءة كتب عمه ، وسؤاله عما يصعب عليه فهمه .

### • المطالعة

من البديهي أن الإبداع الأدبي يسبقه شغف بالمطالعة ، فلم يسبق لنا أن عرفنا أديباً إلا كانت له هذه الخصلة ، والكيلاني أديب أغرم بالمطالعة منذ وقت مبكر من حياته ، وأخذ يلتهم الكتب التهاماً ، وكانت معظم قراءاته في كتب الأدب والدين ، وبعض المجالات مثل مجلة الرسالة والهلال والمقتطف والأزهر ، أما ولعه الأكبر فقد كان بكتب الشعر ، يقول : ( إن قراءات الصيف ضمت الكثير من المؤلفات ، حتى قصص الجيب والروايات البوليسية والترجمات العديدة ، وحفظ القرآن والكثير من الأحاديث النبوية ، والشعر القديم والحديث ، وبعض النصوص البلاغية ، وسير القدماء والمحدثين وغيرها ، قد زودني بحصيلة كبيرة من المعرفة )<sup>١</sup> .

لم يكن حب المعرفة دافعه الوحيد للقراءة والإطلاع على كل جديد ومفيد ، فقد كان الخوف من الجهل شكلاً دافعاً أكبر بالنسبة له ، وهذا ما نكتشفه من حديثه عندما يقول : ( أذكر أنني لم أترك موضوعاً من الموضوعات إلا وحاولت أن أعرف عنه شيئاً ، وكان يؤلمني أشد الألم أن أستمع لمتحدث يتناول موضوعاً لا أعرف عنه شيئاً ... فاهتممت " بالمدينة الفاضلة " وسحرها ، وقفت أمام عبقرية أرسطو الفذة ، وتابعت المذاهب الإسلامية في التاريخ القديم ، والفكر الإسلامي المعاصر والسياسة )<sup>٢</sup> .

لم يكن الكيلاني في بداية قراءاته يميز بين الغث والسمين ، فقد كان يقرأ كل ما يقع بين يديه ، إلى أن أصبح له رأي فيما يقرأ ولمن يقرأ ، فقد استهوته كتابات توفيق الحكيم ، وشغف بعمق العقاد ودراساته التحليلية ومعلوماته الوافية ،

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ٢٧ .

٢ - رحلتي مع الأدب الإسلامي : ١٠٢ - ١٠٣ .

وإطلاعه الواسع ، وأحب كتابات محمود تيمور ، وأعجب بشخصيته ، وعندما أتحت له فرصة مجالسته وجده رجلاً مهذباً نبيلاً متواضعاً متفرغاً لأدبه ، وقرأ الكثير والكثير لطفه حسين ، وكان يرى أنه أديب وفنان قبل أي شيء آخر<sup>١</sup> .

أما الكاتب الكبير " نجيب محفوظ " ، فقد ذكرنا سابقاً أن الكيلاني كان حريصاً على حضور ندوته ، وعندما صدر أمر بأغلاقها حزن الكيلاني حزناً شديداً ، يقول : ( وهكذا أغلق باب هذا المتنفس الذي كان ملاذاً لنا في النصف الأول من عقد الستينات ، والذي تميز عطاؤه بالفائدة والجدية وسعة الأفق ، وخاصة أن " عمدة " الجلسة كان نجيب محفوظ النجم اللمع في عالم الرواية ، وصاحب الاطلاع الواسع على الآداب العالمية والعربية وصاحب الرأي المتزن البعيد عن الهوى )<sup>٢</sup> .

وهكذا نجد نجيب الكيلاني يغذي فكره بثقوى العلوم والمعارف ، وغرف من كل الأجناس الأدبية ، وركز في تعميق معرفته على عمالقة الأدب العربي .

### • الالتزام الديني

نشأ نجيب الكيلاني نشأة دينية ، فمنذ نعومة أظفاره حفظ قدراً لا بأس به من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وقد كان من المقرر أن يلتحق بالأزهر الشريف في طنطا ، لولا أن جده لأمه لمح فشل أبناؤه في هذا الاتجاه ؛ لذلك غير اتجاههم مع الكيلاني إلى مدرسة أخرى بسنباط<sup>٣</sup> .

لكنه ظل شخصاً مسلماً متديناً ، ظهر ذلك جلياً في مؤلفاته الإسلامية ، لقد احتلت مفردة " الإسلام " مساحة واسعة جداً في عناوين مؤلفاته ، كما أن الدارس لروايات

١ - ينظر : مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ٧٣ - ٧٧ .

٢ - ملامح من حياتي : ٤ / ٣٧ .

٣ - ينظر : مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٨ - ١٩ .

الكيلائي يلاحظ كثرة اقتباساته القرآنية والحديث النبوي الشريف ، حتى لا يكاد القارئ يجد رواية أو مجموعة قصصية تخلو من ذلك .  
ومن ملامح توجهه الديني كثرة استثمار الأماكن المقدسة في أعماله الأدبية ، التي غالبا ما تضم بين شخوصها شخصية دينية تقوم بدور الوعظ والإرشاد .  
حتى اتجاهه للرواية التاريخية فقد كان أحد أسبابه حبه للإسلام والمسلمين .  
وعندما قرر أن يخرج بالرواية من نطاقها المحلي إلى نطاقها العالمي ، كانت هموم العالم الإسلامي هي ما دفعه إلى هذا الخروج .

### • الواقع

إن الدارس حين يقارن بين حياة الكيلائي ورواياته ، يخرج بنتيجة واضحة ، تتمثل في التأثير الشديد الملحوظ لحياته الواقعية في أعماله الأدبية ولاسيما رواياته ، سواء أكان ذلك التأثير من ناحية إختياره للأمكنة أم الأزمنة أم من ناحية الشخصيات .  
فأما من ناحية " المكان " فقد ظهر ذلك جلياً في اختيار الكيلائي للأمكنة التي يتحرك فيها على أرض الواقع ، خلفية مكانية تدور فيها أحداث رواياته ، حتى لقد أضحت بعض هذه الأماكن بمثابة الشخصية المحورية في الرواية .  
كان الكيلائي ابن القرية ، فانعكاسها واضحاً على أدبه ؛ ذلك ملامحها واضحة في رواياته ، وهي غالباً قرية في نطاق القرى التي يعرفها ، فهي إما قرية " شرشابة " وإما أية قرية قريبة منها ، يقول عن القرية : (واني لأعجب أشد العجب من هؤلاء الذين ينسون مسقط رأسهم وأهلهم بعد أن يتموا مرحلة التعليم ، ويستقلوا بأنفسهم ، إنه سلوك آثم حسب تصوري ، كيف ينقطعون عن ذويهم وعن مراتع صباهم ، ومطارح لهوهم ؟ أليس في ذلكم الكثير من الجحود والنكران ؟ )<sup>١</sup> .

١- مذكرات الدكتور نجيب الكيلائي : ١ / ٣٤ .

أما السجن ، فقد حفر في نفسه جرحاً غائراً لا يشفى، لذلك كان السجن خلفية لكثير من أحداث رواياته ، بل كان كأنه شخصية محورية في بعض هذه الروايات ، إن دخول الكيلاني إلى السجن ، ومعاناته فيه جعله يعقد العزم على أن ينقل هذه الصورة المؤلمة إلى رواياته يقول :

(قلت لنفسي لو كُتِب لي الحياة ، فإني أعاهد الله أن أنقل هذه الصورة بقلمي للأجيال التي سوف تأتي من بعدي) <sup>١</sup>.

ويقول في موضع آخر : (... وما أكثر ما تعرضت للسجون والسجناء في كتاباتي القصصية ) <sup>٢</sup>.

وأفرد لمكان عمله " المستشفى " روايات بكاملها ، فقد كان الكيلاني طبيباً محباً لعمله ، متفانياً فيه ، ونقل مشاهداته في المستشفى إلى رواياته ، ومن هذه الروايات : "الربيع العاصف"، "والذين يحترقون" ، أما رواية "رجال وذئاب" فقد كانت خلفية أحداثها تقع ما بين كلية الطب والمستشفى ، ولم يقتصر المستشفى على دخول روايات الكيلاني بل كان له مكانة في المجموعات القصصية مثل ، " مذكرات طبيب " وهي حكايات تدور أحداثها كلها في المستشفى .

أما الأزمنة في أعماله الأدبية ، فقد اهتم الكيلاني بالتحدث عن أزمنة واقعية ، غير مختلفة ، فلا نجد عنده مثلاً رواية تدور أحداثها في المستقبل ، كامثال روايات الخيال العلمي ، بل كل أزمان رواياته واقعية ، في الزمن المعاصر للكاتب أو زمن تاريخي محدد ومعلوم يقول : ( كما استطعت أن أكتب عدداً من القصص والروايات مختبئاً وراء التاريخ ، أو في فترات زمنية لا تومئ بالشك نحوي ، سواء في الفترة التي كنت فيها داخل السجن أو خارجه ، كنت أريد أن أعبر عما يختلج في نفسي ، وأعكس رؤى الأحداث الرهيبة التي تسود البلاد ، ولم أجد وسيلة سوى ذلك ، وكان يكفيني أن الدلالات العامة للعمل الأدبي يمكن أن

١ - مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٧٢ .

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٢٥٠ .

تنسحب على أي عصر من العصور إذا توافرت جوانب معينة لا تخفى على القارئ<sup>١</sup> .

ولقد استثمر الكيلاني كثير من الشخصيات الواقعية التي كان لها تأثير في نفسيته ، سواء أكان هذا التأثير سلباً أم إيجاباً ، أدخلها في رواياته ، فمن الشخصيات التي أحبها وتأثر بها " جده إبراهيم " ، فالقارئ لمذكرات الكيلاني عن جده ورواية " مملكة البلعوطي " يكتشف تطابق هاتين الشخصيتين .

وصور جزءاً من طفولته في رواية " الطريق الطويل " عندما تحدث عن طفولة الشخصية الرئيسة ، وفي الرواية نفسها كتب عن " عم " الشخصية الرئيسة ، وكان فيها قدر من شخصية عمه ، يقول : ( أما عمي عبد الفتاح فله قصة مثيرة ، لعلي كتبت طرفاً منها في روايتي " الطريق الطويل " )<sup>٢</sup> .

وقد استمد الكيلاني من السجن الشخصيات التي كان لها أثر سلبي في نفسه . من هذه الشخصيات ، الضابط " حمزة البسيوني " مدير السجن الحربي ، ذكره في رواية " رحلة إلى الله " تحت اسم مستعار هو " عتوة الملواني " . أما السجن " الشلقامي " فقد ذكره باسمه الحقيقي في الرواية .

إن " رواية " ليل وخطايا " المفقودة ، كانت شخصياتها واقعية ، ومع أن الباحثة لم تعثر عليها، استشفت هذا الإنتاج من مذكرات الكيلاني عندما يقول : ( ولقد اندفعت لكتابتها تحت فورة غضب وحماس بالغين ، لأني عرفت أبطال هذه القصة ، وألممت بالخيانة التي آلمتني ، فقررت أن أكتبها رواية ، وكأني أنقم أو أحاكم هؤلاء الخونة الذين لا يراعون في الله إلاّ ولا ذمة )<sup>٣</sup> .

وهناك رواية " أميرة الجبل " كتبها الكيلاني عن قبائل " الشحوح " في " رأس الخيمة " ، وقد منعته الرقابة في دولة الإمارات ؛ لأن من شخصياتها شخصية لها احترامها وحيثياتها<sup>٤</sup> .

١- مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني : ١ / ١٣١ .

٢ - المصدر نفسه : ١ / ١٥ .

٣ - لمحات من حياتي : ٤ / ١٨١ .

٤ - المصدر نفسه : ٤ / ١٨٢ .

وبذلك يشكل الواقع سواء كان مكاناً أو زماناً أو شخصيات رافداً مهماً جداً في إبداع الكيلاني ، ويصرح بذلك لزوجته ونقرأ ذلك في مذكراته عندما يقول :  
(تعرفين أنني لا أنطلق إلا من الواقع .. حتى ولو كان بسيطاً) <sup>١</sup> ، فكانت الحياة الواقعية بمثابة كنز للكاتب يغترف منه في كل أعماله .

### ثالثاً : مذهب نجيب الكيلاني الأدبي

يختلف النقاد والأدباء في إجابتهم عن سؤال قديم ، أثار جدلاً كبيراً بين الفنانين والنقاد ، وهو هل الفن للفن أم الفن للحياة ؟ .  
كثير من الأدباء عندما نحاول أن نعرف إجابتهم عن هذا السؤال ، نكاد لا نصل إلى رأي قاطع لهم ، لكن الأديب نجيب الكيلاني قد أوضح موقفه من هذا التساؤل بما لا يدع مجالاً للشك بقوله :

(أما أصحاب نظرية " الفن للفن " الذين يحكمون على الفنون من ظاهرها وأشكالها الفنية ، دون التقيد بمضامين معينة ، ويكتفون بأن يكون النتاج فناً فحسب ، أصحاب هذه النظرية يرفضون أخلاقية الفن ، ونحن لا نقرهم على زعمهم ) <sup>٢</sup> .

فهو إذاً من أصحاب نظرية " الفن للحياة " ، يعدّ الأدب رسالة سامية يخدم بها دينه ووطنه ومجتمعه ، والأديب ينبغي أن يتحلى بأخلاق راقية ، ومثل عليا ، وسلوك قويم ، وموقف سليم ، يقول :

( إن الكاتب يجب عليه أن يكون صاحب موقف واضح محدد ، وهذا الموقف يفترض عليه الإيمان بشيء إزاء قضايا وطنه الصغير وقضايا العالم الذي لا يمكن أن ينعزل عنه ، وإزاء المتناقضات الكبرى التي تهدد أمن الأفراد

١ - لمحات من حياتي : ٤ / ٢٠٢ .

٢ - الإسلامية والمذاهب الأدبية ، الدكتور نجيب الكيلاني ، د. ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧ م : ٣٧ .



والجماعات ، مثل هذا الموقف يجب أن تدعمه مثل وقيم سليمة نظيفة ذات نزعة إيجابية مفيدة <sup>١</sup> .

على وفق هذه المعايير كتب نجيب الكيلاني معظم نتاجه الأدبي ، وقد لا يختلف إثنان على أن رواياته لا تتخرج العائلة الملتزمة من إقتنائها ، وإثراء مكتبتها الشخصية بها .

فقد حاول الكيلاني من خلال أدبه أن يجسد مشاكل المجتمع الإسلامي وقضاياها ، لأنه شعر منذ البداية أن المسؤولية تقع على عاتقه وعلى عاتق أبناء جيله من الأدباء في بث المثل والقيم العيا ، وإشاعة المبادئ الإسلامية السامية .

( الأديب المسلم قدماءه في الأرض وهامته تلامس الثريا ، وكأنه صلة معقودة بين الأرض والسماء ، بين عالم الواقع بآلامه ونقائصه ومشاكله ، وعالم المثل بشفافيته وفضائله وإبداعه ، أو بعبارة أخرى نستطيع أن نسمي هذه واقعية مثالية .. أو إذا شئت - إسلامية - ) <sup>٢</sup> .

ومن ذلك نستنتج أن الكيلاني قد إختار لنفسه الكتابة بروح إسلامية طغت على نتاجه الأدبي ، سواء كان في مجال القصة أو الرواية أو المسرحية أو الشعر أو العمل النقدي ، ومن يلق نظرة سريعة على مؤلفات الكيلاني ، يصل إلى هذه النتيجة ؛ فقد وسم كثيراً من مؤلفاته باسم " الإسلام " .

والأدب الإسلامي هو ( التجربة الشعورية التي تنبع من الوجدان والخواطر المفعمة بالقيم الإسلامية في بناء غنيّ يعتمد على وسائل التأثير والإقناع ... وبهذا المفهوم تتحدد معالم الأدب الإسلامي وأساسه على النحو الآتي :

- ١ - التجربة الشعورية إزاء موقف إنساني معين .
- ٢ - الخواطر والأفكار تمتد جذورها إلى الشريعة الإسلامية .
- ٣ - العاطفة الصادقة التي تعبر عن إخلاص الأديب وصدقه .
- ٤ - اللفظ الفصيح الصحيح المجرد من الخطأ واللحن والسوقية والعامية .

١ - الإسلامية والمذاهب الأدبية : ٤٠ .

٢ - المصدر نفسه : ٦٦ - ٦٧ .

- ٥ - الوجدان المفعم بالقيم الإسلامية الثرية بخلق القرآن والسنة .
- ٦ - الأسلوب البليغ والنظم الدقيق ، الذي يتخذ القرآن مثله الأعلى .
- ٧ - التصوير الأدبي المحكم بالخيال والعقل معاً ...
- ٨ - الإيقاع والموسيقى ، وهذا يختلف حسب اختلاف الفنون الأدبية ... )<sup>١</sup> .
- أما الكيلاني فقد عرف الأدب الإسلامي بقوله : ( تعبير فني جميل مؤثر ، نابع من ذات مؤمنة ، مترجم عن الحياة والإنسان والكون ، وفق الأسس العقائدية للمسلم ، وباعث للمتعة والمنفعة ، ومحرك للوجدان والفكر ، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما )<sup>٢</sup> .
- ولقد دعا إلى هذا النوع من الأدب عدد من الكتاب خصوصاً في العقود الأخيرة ، وتفاوتت هذه الدعوة بين من يدعو عن إيمان بضرورة وجود مثل هذا الأدب دفعه إلى ذلك وازع ديني وخلق ، ومن كان مهتماً بالأدب يبحث عن الجديد فيه ووجد ضالته في هذا المجال<sup>٣</sup> .
- و ( ازدادت الكتابة في الأدب الإسلامي ، ولكن جل هذه الكتب كان ينحو إلى التحديد النظري لسمات هذا الأدب ، وقضاياها )<sup>٤</sup> .

---

١ - الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، الدكتور علي علي صبح ، الدكتور عبد العزيز شرف ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ م : ١١ .

٢ - مدخل إلى الأدب الإسلامي ، الدكتور نجيب الكيلاني ، ط ٢ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢ م : ٣٦ .

٣ - ينظر : في القصة الإسلامية المعاصرة ، محمد حسين بريغش ، ط ١ ، دار البشير للنشر ، عمان ، ١٩٩٢ م : ٨ .

٤ - المصدر نفسه : ٧ .

صدرت كتب عدة في هذا السبيل ، وبعضها يحاول إيجاد نظرية للأدب الإسلامي أو يتحدث عن بعض القضايا المهمة لهذا الأدب مثل " مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي " للدكتور عبد الباسط بدر ، و " مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي " للدكتور عماد الدين خليل ، و " نحو نظرية للأدب الإسلامي " للدكتور محمد أحمد حمدون ، و " نظرية الأدب في ضوء الإسلام " للدكتور عبد الحميد البوزوبنة ، و " نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد " للدكتور عبد=

ولابد للأديب المسلم أن يبتغي وجه الله في عمله ، لأنه مسؤول عن الكلمة التي يكتبها ، ولا يخاف في أداء رسالته سوى الله ، وهو عندما يفعل ذلك من قلب مؤمن يكن أكثر صدقاً ، وأعمق أثراً ، وأحسن تصويراً مادام يمتلك الموهبة والأداة الفنية<sup>١</sup> .

وإستناداً لما تقدم من معايير الأدب الإسلامي وأسسها ، فقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن روايات نجيب الكيلاني التي تسنى للباحثة دراستها ، في مجملها تتدرج تحت هذا النوع من الأدب ، وسنورد أهم الملامح الإسلامية التي جعلت هذه الروايات من الأدب الإسلامي :

١- إهتم الكيلاني بكتابة الرواية التاريخية ، لغرض تعريف القارئ بالتأريخ العربي الإسلامي ، وتقديم المعلومة التاريخية بطريقة ممتعة بعيدة عن تلقين المعلومات الجاف ، فقد كتب روايات عدة من هذا النوع منها " نور الله " ، و " قاتل حمزة " ، و " اليوم الموعود " ، وغيرها من الروايات التي سنتناولها في حينها .

٢- الدعوة إلى التوحيد ، ونبذ بعض المعتقدات الفاسدة ، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة ، وكانت هذه الفكرة موجودة في كثير من رواياته ، وتجلت بصورة واضحة في رواية " الرجل الذي آمن " .

٣- حفلت روايات الكيلاني بكثرة الإقتباسات والتضمينات ، وكان على رأس هذه الإقتباسات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فلا تكاد تخلو رواية من رواياته من مثل هذا الإقتباسات والتضمينات .

٤- ابتعد الكيلاني عن اللهجة العامية ، وكتب رواياته باللغة العربية الفصحى السلسة ، إعتزازاً منه بلغة القرآن الكريم ، فلا نجد رواية باللهجة العامية

---

=الرحمن الباشا ، و " مدخل إلى الأدب الإسلامي " للدكتور نجيب الكيلاني ، وغيرها من الكتب ، وبقيت الأمور التطبيقية والدراسات الميدانية قليلة .

١- ينظر : في القصة الإسلامية المعاصرة : ١٥٥ .

، ولكنه كان في بعض الأحيان يستخدم بعض المفردات العامية أو اللجوء إلى التضمين بالشعر الشعبي .

٥- الإهتمام بالقضايا الإسلامية في البلدان غير العربية ، فنبه إلى حملات التنصير في أفريقيا في رواية " الظل الأسود " ، والحملة الشيوعية على المسلمين في جاكرتا في رواية " عذراء جاكرتا " وغيرها من الهموم التي كان له قدم سبق في كتابه عنها .

٦- كشف الستار عن كثير من المخططات اليهودية الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين ، سواء القديمة منها أو الحديثة ، وكان ذلك في رواية " على أبواب خيبر " و " أرض الأنبياء " ، و " عمر يظهر في القدس " .

٧- حرص الكيلاني على وجود شخصيات إسلامية في رواياته توجه وترشد بصورة مباشرة ، أو تكون الشخصية ممن يتسم بالالتزام الديني ، فتؤدي الفرائض الإسلامية ، وهذا لا يعني أن هذه الشخصيات لا تخطئ ، بل جعل لها صفات بشرية تخطئ وتصيب ، وفي النهاية تنتصر إرادة الخير على إرادة الشر في داخلها .

وهكذا نجد الكيلاني يطبق أسس الدين الإسلامي ومبادئه على رواياته ، ولكن أحب أن أشير إلى أن الكاتب "محمد حسن بريغش" يرى في هذه الروايات في بعض الأحيان خروجاً عن هذه المبادئ ولو بنسبة ضئيلة .

ففي معرض نقده لرواية " الربيع العاصف " يقول : ( إنني لا أشك أبداً في أن كثرة كثرة من القراء سوف يتحدثون عن الممرضة منال الحلوة الجميلة التي وصفها حامد : " مثل الملبن ، والقشطة ، والمهلبية " ، والتي وصفها الكاتب بأنها " جميلة فاتنة فاحمة الشعر ...

ضاعت كل الأهداف الأخرى إزاء هذا الهدف )<sup>١</sup> .

لقد وجه الكاتب نقداً كثيراً للكيلاني وقصته ، وأنا هنا أتساءل لماذا إختار الكاتب هذه الرواية من ضمن قصص إسلامية ، أما كان الإجدد به أن يختار

١ - في القصة الإسلامية المعاصرة : ١٤٩ - ١٥٠ .

غيرها من روايات الكيلاني الكثيرة ، ولكن قد يكون السبب في ذلك إنكار هذا الوصف على الكيلاني الذي يعده الكاتب من كتاب الأدب الإسلامي .

### المبحث الثالث : العنوان عند نجيب الكيلاني

إن الهدف الأول الذي يرمي إليه الكاتب هو أن يصل نتاجه إلى أكبر عدد من القراء ، والقارئ بدوره يحاول أن يكتشف ما بين دفتي الكتاب ، من خلال أول شيء يقع عليه نظره إلا وهو العنوان ، فيقوم بعملية بحث عن العلاقة التي تربط بين ما وُسم به الكتاب ومضمونه ؛ فاكتمب العنوان نتيجة لذلك أهمية كبيرة ، فطن لها الكاتب ، فجهدوا بوسم كتبهم بعناوين يدققون في إختيارها ، ويجملونها بالخط الحسن والصور الموحية في بعض الأحيان ، فقد يستعينون بفنانين ذوي مهارة في الخط والفنون التشكيلية .

إن (الباحث في العصور السابقة لعصر النهضة وظهور الطباعة لن يجد مكاناً للعنوان أو اسم الكاتب ؛ لأن الكتب كانت في ذلك الوقت عبارة عن لفافات ورسائل مختومة ، يكون فيها العنوان عبارة عن ملصقة تلصق بهذه اللقافة مثبتة بزر . فكان العنوان يعرف إما في بداية النص وإما في نهايته حيث يبحث عن العنوان في نهاية المخطوطة مع اسم الناسخ ، وتاريخ نسخه )<sup>١</sup>.

وبعد عصر النهضة وظهور الطباعة وازدياد عدد الكتب زيادة ملحوظة احتل العنوان مكان الصدارة في الكتاب ، ( ولم تظهر صفحة العنوان إلا في السنوات بين " ١٤٧٥ - ١٤٨٠ " م ، وبقيت لمدة طويلة حتى تطور صناعة الكتاب ... لينشأ العنوان الآن بخروجه من طابعه / مكانه النصي إلى مكانه المناصي<sup>٢</sup> الذي يعد اليوم مكانه الخاص )<sup>٣</sup> .

١ - عتبات ، ج . جينيت من النص إلى المناص ، عبد الحق بلعابد ، تقديم : د. سعيد يقطين ، ط ١ ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٨ م : ٦٩ .

٢ - المناص : نص ( أو مجموعة نصوص ) يستشهد به أو يعاد كتابته ، أو تمديده ، أو تحويله عموماً بواسطة نص آخر يشكل معناه .

من قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة السيد إمام ، ط ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ٢٠٠٣ : ٩٧ .

٣ - عتبات : ٦٩ .

فأصبح العنوان نصاً مصغراً للنص الأكبر " المتن " ، ويعتمد ارتباطه بهذا المتن على رغبة صاحب النص " الكاتب " في كشف شفرة النص عن طريقه أو إيهامها. ( إن العنوان ليس بنية نهائية ، إنما هو بنية صغرى لا تعمل باستقلال تام عن البنية الكبرى التي تحتها... فالعنوان بنية إفتقار ، يغتني بما يتصل به من قصة ورواية وقصيدة ، ويؤلف معها وحدة على المستوى الدلالي )<sup>١</sup> . وبهذا يكون فهم النص عن طريق العنوان فقط شيئاً متعذراً ، فلا بد من المتن حتى نكتشف مدى ارتباط أحدهما بالآخر .

### أولاً : السيميوطيقا<sup>٢</sup> والعنوان :

قبل أن نحدد العلاقة بين علم السيميوطيقا والعنوان ، لابد من تعريف بسيط بهذا العلم .

السيميوطيقا عند " بيرس " <sup>٣</sup> مدخل ضروري للمنطق ، وهذا الأخير فرع متشعب عن علم عام للدلالة الرمزية ، فالمنطق والسيميوطيقا وجهان لعملة واحدة ، وهي بحث على الدلالة اللسانية وغير اللسانية ، تكمن وظيفتها في إنتاج مراقبة مقصودة للعلامات ، ولها أبعاد ثلاثة ألا وهي : البعد التركيبي ، البعد الدلالي ، البعد

١ - ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، د . ط ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٩٥ م : ٩ .

٢- السيميوطيقا : علم يعنى بدراسة الاشارات والرموز التي تتناول لغة الإنسان والحيوان وغيرهما من اللغات " طبيعية أم صناعية " .

٣ - تشارلز ساندرس بيرس : فيلسوف أمريكي " ١٨٣٩ - ١٩١٤ " هو الذي أطلق على علم العلامات مصطلح السيميوطيقا .

ينظر: سيميوطيقا العنوان ، د . جميل حمداوي ، عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثالث ، مارس ، ١٩٩٧ م : ٨٤ .

التداولي. وبناء على ذلك تكون السيميوطيقا صالحة في المقارنة العنوانية وذلك بتطبيق أبعادها على العنوان <sup>١</sup> .

أما السيميوطيقا عند " سوسير " <sup>٢</sup> ، فهي علم العلامات ذلك العلم العام الذي يشمل في طياته حتى اللسانيات وله وظيفة اجتماعية .

إن السيميوطيقا عند سوسير ، لها دالتان رئيستان هما: الدلائل الاعتبائية والدلائل الطبيعية ، وهذه الدلائل قائمة على العلاقة بين الدال والمدلول <sup>٣</sup> .

أما الفيلسوف " هوبز " <sup>٤</sup> ، فقد كانت فلسفته اللغوية موسومة بالنزعة الأسمية ، وإن منطقته يتصف بالروح السيميوطيقية ؛ لأنه يقوم على نظرية العلامات التي يصنفها إلى : <sup>٥</sup>

١- علامات طبيعية معطاة يستطيع العقل أن يهتدي إليها عن طريق الأقيسة والاستدلالات .

٢- علامات وضعية من إبداعات البشر الذين يبتكرون ألسنتهم بالإبانة عن مكنوناتهم .

١ - ينظر : سيميوطيقا العنوان : ٨٤ - ٨٧ .

٢ - فرناند دي سوسير : عالم لغوي سويسري " ١٨٥٧ - ١٩١٣ " م ، مؤسس اللسانيات والسيميولوجيا ، بعد صدور كتابه " محاضرات في اللسانيات العامة " سنة ١٩١٦ ، -- سيميوطيقا العنوان ، د . جميل حمداوي ، علم الفكر ، الكويت ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثالث ، مارس ، ١٩٩٧ م ، : ٨٧ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٨٨ .

٤ - توماس هوبز : " ١٥٨٨ - ١٦٧٩ م " عالم رياضيات وفيلسوف إنكليزي ، من أهم فلاسفة القرن السابع عشر بانكلترا ، من الفلاسفة الذين وظفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم .

ينظر : الشبكة العنكبوتية / موقع ويكيبيديا " الموسوعة الحرة " .

٥- السيميائيات الواصفة " المنطق السيمائي وجبر العلامات " ، أحمد يوسف ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥ م : ٥٧ .



وهناك مدارس ظهرت في هذا العلم مثل مدرسة باريس السيميوطيقية ، ويمثل هذه المدرسة كل من كريماس ، وميشيل أريفي ، وجان كلودكوكي ، والمدرسة الروسية ويمثلها ميخائيل باختين ، وغيرها من المدارس <sup>١</sup> .

ولأن العنوان يعد همزة وصل بين المبدع والمتلقي ، فقد حظي باهتمام علم السيميوطيقا ، فهي لا يهمها مايقوله النص ، ولا ما قاله ، بل ما يهمها هو كيف قال النص ما قاله .

وعلى ضوء ما تقدم فقد أولى هذا العلم ( أهمية كبرى للعنوان ، باعتباره مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقاربة النص الأدبي ، ومفتاحاً أساسياً يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها ) <sup>٢</sup> .

وقد ازداد اهتمام الأدباء بالسيميوطيقا ، عندما أخذوا يبحثون عن منهج وأدوات تمكنهم من وصف الإبداع الأدبي ، متمثلاً بالرواية والمسرحية والقصة القصيرة وكل الأجناس الأدبية الأخرى .

( ولا تفصل الدراسة السيميوطيقية بين الظاهرة التجريبية الواحدة والمحيط العام الذي تظهر فيه بل تفترض شبكة من الأنساق المتداخلة تضع هذه الظواهر في وحدة كبرى تتألف من كلية هذه الأنساق المختلفة ، فتتداخل وتتعارض في بعض المواضع وتتباعد في بعض المواضع الأخرى ) <sup>٣</sup> .

ومن ذلك تتبين أهمية العنوان من حيث هو جملة مختصرة أو كلمة واحدة يعبر بها الأديب عن عمله الإبداعي ، ويجعله نافذة على عمله يستعين بها القارئ على معرفة مكنون العمل الإبداعي .

١ - ينظر : السيميائيات الوصفة " المنطق السيمائي وجبر العلامات " : ٩١ - ٩٣ .

٢ - سيميوطيقا العنوان : ٩٦ .

٣ - أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف : سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد ، د. ط ، دار الياس المصرية ، القاهرة ، د. ت : ١٧ .

## ثانياً: وظائف العنوان

- حدد دارسو علم السيميوطيقيا وظائف للعنوان ، ومن هؤلاء الدارسين (جيرار جينيت <sup>١</sup>) الذي قال إن للعنوان أربع وظائف هي : <sup>٢</sup>
- ١- الوظيفة التعيينية : لقد انسحب نظام التسمية من تسمية الأشخاص إلى تسمية الكتب ، فلا بد للكاتب أن يختار اسماً لكتابه . وكذلك تعيين جنس الكتاب كأن يكون فوق العنوان بيان أن الكتاب " رواية " مثلاً أو "دراسة نقدية " أو " كتاب علمي " وهكذا ..
  - ٢- الوظيفة الوصفية: وبهذه الوظيفة يلقي العنوان الضوء على شيء من فكرة النص ، ومعروف أن العنوان يجب أن يكون مختصراً ؛ لذلك من الوارد جداً ألا يوفق الكاتب في استثمار هذه الوظيفة مما يعرضه للانتقاد <sup>٣</sup>.
  - ٣- الوظيفة الإيحائية : ومن خلال هذه الوظيفة يستطيع العنوان أن يوحي للقارئ بأشياء عدّه ، كأن يوحي بالزمن الذي يدور فيه النص ، أو الإيحاءات التجنيسية ، مثل ذكر اسم البطل ، وغيرها من الإيحاءات <sup>٤</sup>.
  - ٤- الوظيفة الإغرائية : وفي هذه الوظيفة يقوم العنوان بدور الإعلان التجاري لإغراء القارئ باقتناء الكتاب ؛ لهذا نجد الناشرين يتفقون مع الكتاب على وضع عنوانات مغرية وجذابة ، قصد ضمان المبيعات ، فالعنوان الجذاب يثير فضول القارئ إلى معرفة خفايا النص <sup>٥</sup>.

---

١- جيرار جينيت ناقد فرنسي ولد سنة ١٩٣٠ م ، يعد من أهم النقاد الذين أثروا في الحياة الثقافية والأدبية في العالم ولاسيما في أوروبا . من أهم كتبه " عودة إلى خطاب الحكاية ١٩٨٣م " و " عتبات ١٩٨٧ م " .

ينظر : الشبكة العنكبوتية / موقع ويكيبيديا " الموسوعة الحرة " .

٢- ينظر : عتبات : ٧٨ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٨٧ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ٨٣ - ٨٤ .

٥ - ينظر : عتبات : ٨٥ - ٨٦ .

وفيما يأتي جدول بعناوين روايات نجيب الكيلاني ، وبيان مدى توافر تلك الوظائف فيها بحسب ما ترى الباحثة .

التسلسل	عنوان الرواية	التعينية	الوصفية	الإيحائية	الإغرائية
١	أرض الأنبياء	*		*	*
٢	اعترافات عبد المتجلي	*	*	*	
٣	امرأة عبد المتجلي	*	*	*	
٤	أميرة الجبل	*	*	*	*
٥	حارة اليهود	*		*	*
٦	حكاية جاد الله	*	*	*	
٧	حمامة السلام	*	*	*	*
٨	الذين يحترقون	*	*	*	*
٩	رأس الشيطان	*	*	*	*
١٠	الربيع العاصف	*	*	*	*
١١	رحلة إلى الله	*	*	*	*
١٢	رجال وذئاب	*	*	*	*
١٣	الرجل الذي آمن	*	*	*	
١٤	رمضان حبيبي	*		*	
١٥	الظل الأسود	*			*
١٦	الطريق الطويل	*	*	*	*
١٧	طلائع الفجر	*	*	*	*
١٨	على أبواب خيبر	*	*	*	
١٩	عمالقة الشمال	*		*	*
٢٠	عمر يظهر في القدس	*	*	*	*
٢١	في الظلام	*			*

٢٢	قاتل حمزة	*	*	*	*
٢٣	قضية أبو الفتوح الشرقاوي	*	*	*	*
٢٤	ليالي تركستان	*			*
٢٥	ليالي السهاد	*			
٢٦	ليل وقضبان	*			*
٢٧	ملكة العنب	*	*		
٢٨	مملكة البلعوطي	*	*		*
٢٩	مواكب الأحرار	*		*	*
٣٠	النداء الخالد	*		*	*
٣١	نور الله	*	*	*	
٣٢	اليوم الموعود	*	*	*	*

ويرى " جينيت " أنه ليس من الضروري أن تجتمع كل هذه الوظائف في العنوان الواحد ، على الرغم من أن الوظيفة الأولى واجبة الحضور ، أما الوظائف الباقية فهي وظائف إختيارية <sup>١</sup>.

### ثالثاً : عنوان الروايات عند الكيلاني

في عرض سريع لعنوانات روايات الكيلاني يمكننا أن ندرجها في هذه الأنواع :

١ - عنوان الرواية يعبر عن الزمان : وذلك بتحديد زمن الرواية القريب مثل " الليل " الذي يأتي مرة خلال اليوم الواحد مثال ذلك " ليل وقضبان " ، و " ليل الخطايا " وجاء بصيغة الجمع في " ليالي تركستان " ، " ليالي السهاد " ، وكذلك زمن " الفجر " في روايته " طلائع الفجر .

ولا تخلو عناوين رواياته من الزمن البعيد ، كأن يكون فصل من فصول السنة نحو رواية " الربيع العاصف " ، أو شهر رمضان ذلك الشهر المقدس الذي يزورنا مرة في السنة ، وجاء ذكر رمضان في رواية " رمضان حبيبي " ، ونلاحظ وجود الزمن المستقبلي الإستشراقي ، وهذا الزمن غير معلوم أو أن تحققه في رواية " اليوم الموعود " .

٢- عنوان الرواية يعبر عن المكان : يظهر تعلق الكيلاني ببعض الأماكن واضحاً جلياً على عناوين رواياته ؛ وقد يرجع سبب ذلك إلى قدسية تلك الأماكن في نفسه ، ونفس كل مؤمن ومن ذلك رواياته " أرض الأنبياء " ، و " عمر يظهر في القدس " ، و " لقاء عند زمزم " .

ولعل استشعار الكيلاني بمعاناة الشعوب الإسلامية غير العربية ؛ جعله يكتب روايتي " عذراء جاكرتا " ، و " ليالي تركستان " .

إن بعض هذه الأماكن قد عاش فيها فعلاً نحو رواية " أميرة الجبل " ، التي تدور أحداثها في دولة الإمارات ، وقد عاش الكيلاني في هذا البلد العربي سنوات طوالاً.

وهناك سبب آخر ، ربما يكون قد قصده الكيلاني في عنوان رواية مثل " حارة اليهود - دم لفطير صهيون " ؛ هو رغبته في الكشف عن المخططات الصهيونية المعادية لكل ما هو غير يهودي .

٣ - عنوان يعبر عن الشخصية : التي تعبر عن ذات البطل من خلال الإفصاح عن اسمه ، أو بعض صفاته ، مما يدفع القارئ إلى إستنتاج أن أحداث الرواية تدور حول هذه الشخصية من أمثال رواياته " إعرافات عبد المتجلي " ، و " امرأة عبد المتجلي " ، و " قضية أبو الفتوح الشرقاوي " ، و " مملكة البلعوطي " ، و " ملكة العنب " ، و " الرجل الذي آمن " .

٤ - عنوان الرواية يعبر عن التأريخ : الذي يطلع على عناوين روايات الكيلاني لا يحتاج إلى كبير عناء ليكتشف أن بعضها روايات تأريخية ، ومن ذلك رواياته " على أبواب خير " ، و " قاتل حمزة " ، و " مواكب الأحرار - نابليون في الأزهر " .

٥ - عنوان الرواية يعبر عن المغزى : ولالأديب بعض الروايات التي حاول فيها أن يختزل فكرة الرواية ، ومغزاها في عنوان مكون من كلمتين ، ونذكر من ذلك " حمامة السلام " ، و " رأس الشيطان " ، و " رجال وذئاب " ، و " رحلة إلى الله " ، و " نور الله " بجزأياها .

#### رابعاً : سيميوطيقا العنوان عند الكيلاني

تلقت النظر ظاهرة جليلة في عناوين روايات الكيلاني ، هو أن عدداً غير قليل منها موشى بتسمية تفصح عن ثقل فكرة الزمان والمكان في عالمه ، هذا الثقل الذي انسحب إلى عنوانات تلك الروايات فوسمها بما يؤكد ، مثل رواية " أرض الأنبياء " ، و " أميرة الجبل " ، و " الربيع العاصف " ، و " رمضان حبيبي " وغيرها .

علماً أن هذه الظاهرة لفتت النقاد ، فعنوانات عدد من قصائد السياب مثلاً نالت نصيباً من هذه العناية إذ تخصص ( واحد من بحوث الحلقة الدراسية

المعقودة بمناسبة مهرجان المربد الشعري الخامس عشر بدراسة بنية العنوان من القصيدة والإفصاح عن وظيفة الدلالة )<sup>١</sup>.

وتحاول الباحثة تطبيق سيميوطيقا العنوان على روايات الدكتور نجيب الكيلاني " الزمان والمكان أنموذجاً " .

### • الزمان أنموذجاً :

معروف أن مادة الكاتب الأساسية التي يعمل عليها هي اللغة ، والعمل على التقنن بها لإخراجها بصورة يرضى عنها الأديب ، فيعمد بها إلى بناء عالمه الروائي المتخيل ، وذلك بتوظيف العناصر والفرضيات لإقناع القارئ بأن هذا العالم المتخيل هو عالم حقيقي .

ولما كان عنصر الزمن مهماً وأساسياً ، فإن هذا العنصر يظهر في تجليات مختلفة من المبنى الحكائي<sup>٢</sup> .

وعندما ينتقل هذا العنصر المهم ليسم عدداً غير قليل من روايات الكيلاني ، فلا بد من أن تلك الروايات مشحونة بالمؤشرات المقصودة على خصوبة الزمان فيها ، ودوره الفعال في تصاعد الأحداث .

ففي عناوين رواياته نجد الإلحاح على زمن " الليل " فهو قد عنون رواياته به كما مرّ بنا ، وتصل سطوة الزمان على فكر الكيلاني إلى درجة تجعله لا يكتفي بكونه عنواناً لرواياته ، وإنما يدخله في متن الرواية ، على لسان الراوي أحياناً أو على لسان إحدى الشخصيات .

ففي رواية " ليالي السهاد " يصرح لنا البطل ، إن كل الليالي الماضية كانت عبارة عن أرق متواصل ، مع استثمار العنوان في الكلام ، ( آه .. لأول مرة

١- اللغة بين المعجم والخيال في قصيدة النهر والموت للسياب ، د . جبير صالح ، مجلة المجمع العلمي، ج ٢ ، مج ٥١ ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ٢٠٠٤ م : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

٢- ينظر : دراسة في البناء الفني في خماسية ( مدن الملح ) ، د . حسين حمزة الجبوري ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٤ م : ٣٦ - ٣٧ .

منذ سنين أنام قريير العين دون سهاد ... ترى هل ذهبت ليالي السهاد إلى غير رجعة؟؟) <sup>١</sup> .

أما في رواية " رمضان حبيبي " فنلاحظ احتفاء البطل " أحمد " بهذا الشهر الفضيل ، ( لشد ما كانت سعادة أحمد وهو يتجول في أحياء القاهرة في الليلة الأولى من رمضان ، هذه الفرحة الطاغية لازمته منذ الصغر .. أيام كان في حي الحسين ، وفي حي السيدة أيضاً .. وفي رمضان يذكر أحمد أن المعركة الأولى التي وضعت اللبنة الأساسية في مجد الإسلام .. معركة بدر .. كانت في رمضان .. وفتح مكة أيضاً .. ) <sup>٢</sup> .

ونأتي إلى رواية " ليل وقضبان " ولها اسم آخر هو " ليل العبيد " ، فنجد الأديب قد اختزل نص الرواية في كلمتين ، تدل الأولى على زمن العقوبة التي يقضيها السجين ، اكتفى من الزمن ب " الليل " ليؤكد ما في ليل السجناء من ثقل على النفس وشعور بالوحدة والوحشة ، وتدل الأخرى " قضبان " على السجن ، ذلك المكان الذي يدخله السجين بأمر قضائي ، ويخرج منه بأمر قضائي ، ففي نهاية الرواية نقرأ على لسان الراوي :

(وفي الليالي السوداء ، يجلس السجناء القرفصاء ، يتحدثون عن ذكرياتهم وعن عالم العبيد ، العبيد والضيايع الرهيب ) <sup>٣</sup> .

وفي رواية " الربيع العاصف " فإن العنوان يوحي أن أحداث الرواية حدثت في فصل الربيع ، فالربيع هنا هو الزمن الروائي ، أما كون هذا الربيع عاصفاً ، فهنا تظهر الرمزية في عنوان الرواية ، فالكيلاني لا يقصد بهذا أن يخبرنا بأن الجو كان عاصفاً في ذلك الفصل من السنة ، بل يرمز إلى الكوارث التي أصابت القرية في ذلك الربيع ، فهاهوذا يقول على لسان الراوي :

١ - ليالي السهاد ، نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٧ م : ٢١٩ .

٢ - رمضان حبيبي ، نجيب الكيلاني ، د . ط ، كتاب المختار ، القاهرة ، د . ت : ٥٠ .

٣ - ليل وقضبان ، نجيب الكيلاني ، ط ٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٩ م : ١٨٣ .



( .. لم يكن يمر وقت قصير حتى اشتعلت العواصف في القرية ، جاءت الكوارث يأخذ بعضها برقاب بعض ، لقد أصابت الآفات شجيرات القطن الخضراء فجأة ، وبدت الديدان الخبيثة الصغيرة وكأنها شياطين محجبة لا تجدي معها مقاومة ، ... ولم تنفع الكيماويات والمبيدات الحشرية ، ... وماهي إلا أيام قلائل حتى كانت أعواد القطن الخضراء تقف عارية وقد خفت أوراقها وهزلت هياكلها )<sup>١</sup> .

واستخدم الأديب البعد الرمزي للزمان الذي تحققه دلالة العناوين ( فالعلاقة بين الرمز والفكرة هي علاقة سببية أي أن الفكرة هي العلة في وجود الرمز )<sup>٢</sup> ، فقد ظهر ذلك في رواية " الطريق الطويل " ، ولما كانت هذه الرواية من الروايات السياسية ، وتضم شخصيات رمزية ، أسقطت هذه الرمزية على سيميوطيقا العنوان ، فالطريق من المفترض أن يكون مكاناً ، إلا إنه في هذه الرواية كان يرمز إلى الزمان الطويل الذي يمتد ويمتد إلى أن تتحقق الغايات والأمنيات .

ففي حوار بين " سعيد " و " سليمان " وهما من شخص الرواية نلاحظ الكيلاني يؤكد العنوان ويعيده .

- ( - طريق الحرية طويل .. طويل جداً وملئ بالشوك والآلام والتضحيات .
- وهل يبلغ به الطول حتى يمتد منذ عام ١٨٨٢ - يوم الاحتلال البريطاني - حتى الآن ؟؟
- هو أطول من ذلك

...

- خذها عقيدة ياسليمان .. الشعب هو الفائز دائماً مهما طال الطريق ، وزاد الصراع ، ومهما كانت الحرية التي يخوضها سجالاً .. إن إرادة الشعب المؤمن من إرادة الله

١ - الربيع العاصف ، نجيب الكيلاني ، د . ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ م : ١٤٠ .

٢- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا : ٢٤ .

- أجل ، لكن الطريق طويل .. طويل وشاق ' ( ٢ ) .

وفي رواية " اليوم الموعود " نستشف من العنوان الزمن الإستشراقي المستقبلي ، وفيه أيضاً تنافس بين العنوان والآية الكريمة ( والسماء ذات البروج \* واليوم الموعود \* وشاهد ومشهود ) ( ٣ ) .

فبطل الرواية يفصح في حمى إصابته عن يوم يتمنى أن يأتي تتحقق فيه أمنياته ، ويرد ذكر العنوان على لسان صديق البطل بقوله :

( - كنت في هذيانك صريحاً واضحاً ، لم تخف شيئاً البتة كطفل صغير لا يخاف لوماً ولا يكثر لجرح ... لطالما تكلمت عن ذلك اليوم الموعود .  
فالتفت إليه عدنان دهشاً ، لكنه عاد وأطرق وهو يغغم :

- أي يوم موعود تقصد ؟ .

- ألا تعرف أنت ؟ ..

- كلا..

- أنت تكذب لقد برح الخفاء ، إن يومك الموعود كما فهمت من هذيانك ما هو إلا حلم عجيب ... هو ذلك اليوم الذي تنتقم فيه من توران شاه ، وينسحب الأعداء إلى بلادهم يلحقون جراحهم ، ثم تعود إلى بيتك على شاطئ النيل لتراها في أنتظارك .

- من ؟

- زمردة ... يالها من ثلاثة آمال كبرى ( ٤ ) .

وبهذا نجد أن أحداث الروايات معقودة على العنوان الذي يعبر عن الزمان .

١ - وردت " شاقاً " والصواب ما أثبتناه .

٢ - الطريق الطويل ، نجيب الكيلاني ، د . ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م : ٢٣٧

- ٢٣٨

٣ - سورة البروج : ١-٣ .

٤ - اليوم الموعود ، نجيب الكيلاني ، د . ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧ م : ١٤٨ .

### • المكان أنموذجاً :

أما الروايات التي يعبر فيها العنوان عن المكان ، فنحن نعلم كم يجتهد الكاتب الروائي في رسم المكان بكلمات دقيقة وجميلة ومتجانسة ، مع تحديدات جغرافية يستعيرها من الواقع ، ليعطي صورة شبه حقيقية عن المكان الذي تدور فيه أحداث روايته ، فإحساس الروائي بالمكان يختلف عن إحساس الإنسان الاعتيادي ، فهو يلتقط من الواقع المكاني ما يراه مناسباً لروايته ، ويزيد فيه من خياله ، ليكون ما يطلق عليه " المكان الروائي " .

له كل تفاصيل المكان الحقيقي ، وتظهر مهارة الكاتب في الرسم بالكلمات عندما يشعر القارئ بأنه يرى هذا المكان ، بل كأنه يعيش فيه ، ويتفاعل مع شخصياته . وبذلك ( يتجاوز المكان في الخطاب الأدبي حدوده الإصطلاحية المحددة ضمن إطار مادي معين ، إلى الأبعاد الداخلية ذات السمات النفسية المرتبطة بمشاعر الألفة والتجانس أو الوحشة والغربة والتناقض )<sup>١</sup> .

إن ثقافة الكيلاني ، انعكست في حساسية خاصة نحو العلامة الأولى " العنوان " ، أي الرسالة الأولى التي يرسلها إلى المتلقي ؛ فجعلت لغة العنوان أحد عوامل جذب المتلقي إلى رواياته المشحونة بالدلالات الفضائية والانتمائية والسياسية . واحتل عنصر المكان في رواياته مساحة ليست بالقليلة ، تكشف عن العلاقة العميقة بهذا العنصر ، وهذه العلاقة هي التي جعلت الأديب يذكرنا بالعنوان بين فينة وأخرى في متن الرواية .

ففي رواية " أرض الأنبياء " ، وهي رواية تدور أحداثها في فلسطين إبان الاحتلال الصهيوني ، يعيد الكيلاني العنوان في مواضع متعددة من الرواية ، وسوف أستشهد بهذا المقطع لأعتقادي بأن الكيلاني يشعر بمراره في نفسه من أجل مأساة فلسطين وقد استطاع أن ينقل لنا هذه المرارة .

( - على الرغم من أن هذه الأرض أرض الأنبياء والروحانيات إلا أنها شهدت معارك مريرة ، وسالت عليها الدماء الغزيرة .. مصير الرومان تحدد هنا ..

١ - علامات في النقد ، باسمه درمش ، ج١٦ ، مج١٦ ، مايو / ٢٠٠٧ : ٦٤ .

ومصير التتار وكذلك الصليبيين الذين تحطمت آمالهم على هذه الصخور الشماء .. ومعارك الحرب العالمية الأولى وثورات العرب ضد الترك .. أليس غريباً أن تكون أرض الأنبياء بحيرة للدماء على حقب التاريخ ؟؟ ) ١ .

أما رواية " حارة اليهود - دم لفطير صهيون " ، فلقد اختصر الكاتب لنا الجهد وذكر في استهلال الرواية ، أن أحداث الرواية وقعت في حارة اليهود ، وهي إحدى حارات دمشق ؛ ولأن اسم الرواية هو مسرح الأحداث يتكرر هذا العنوان على لسان شخصيات الرواية جميعهم .

( نحن الآن في دمشق في أوائل عام " ١٨٤٠ " بعد أن احتلت قوات " محمد علي باشا " الشام ... وليس في دمشق كلها من لا يعرف تلك الحارة الشهيرة المميزة " حارة اليهود " ) ٢ .

ولهذه الرواية أسم ثان " دم لفطير صهيون " الذي كان عنواناً لها في أوائل طبعاتها، وهذا أيضاً لم يهمل من ذكر جزء منه في متن الرواية ، تتكلم هذه الرواية على جريمة قتل أحد رجال الدين المسيحيين ؛ لغرض استعمال دمه في صنع " فطير " لأعتقادهم بأن من يأكل من هذا الفطير يعود له شبابه . ( دمشق نائمة ... )

والظلام كالكابوس المرهق ..

وحياة اليهود تتلوى كثعبان كبير .. في جوفه الجواهر .. والقطع الذهبية .. وزجاجات الخمر .. وغانيات يلعبن بالنار .. ويرقصن رقصات غجرية .. وحاخامات يتحدثون عن الفطير المقدس .. ودم المسيحيين .. وعيد الفصح الذي اقترب ) ٣ .

ونلاحظ في رواية " حارة اليهود " أن أول ما بدأ به الأديب تعريفنا بأن أحداث هذه الرواية تقع في حارة اليهود بدمشق ، بينما نجده في رواية " مملكة البلعوطي

١ - أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، د . ط ، دار الكتاب العربي ، مصر ، د . ت : ١٠٠ .

٢ - حارة اليهود ، نجيب الكيلاني ، ط ٢٠ ، كتاب المختار ، القاهرة ، د . ت : ٥ .

٣ - الرواية : ٢٤ .

" لا يذكر العنوان إلا في آخر سطر للرواية ؛ وقد يرجع سبب ذلك إلى أن حارة اليهود موجودة على أرض الواقع بينما مملكة البلعوطي خيالية .  
( مات إبراهيم الذي يحده الجسد فليحيى إبراهيم عملاً خالداً في الأرض ،  
وروحاً طليقاً في السماء ...

مات البلعوطي تاركاً مملكة وطيده الأركان عامرة بالحب والإيمان ... )<sup>١</sup> .  
ومن ذلك نستنتج أن الكيلاني قد أعطى عنواناته دلالات متعددة ، غلب عليها ثقل فكرة الزمان والمكان ، وقد أجاد في استثمار هذه الفكرة ، فكانت عنواناته مناسبة ومعبرة عن متن رواياته ، وقد نلمس فيها بعض الرمزية ولكنها عنوانات غير قلقة ولا مبهمة ، فالرمزية فيها يمكن فك شفرتها بسهولة عن طريق قراءة الرواية .

#### خامساً : إشكالية عدد عناوين الروايات عند الكيلاني

تباينت الآراء حول العدد الحقيقي لروايات نجيب الكيلاني ، فمن قائل إنها إحدى وأربعون رواية ، آخر يقول إنها أربعون فقط ، وثالث يقول بل هي اثنتان وأربعون ، فما سبب هذا اللبس ؟

في دراسة للباحث " عبد الناصر المنتصر بالله " لروايات نجيب الكيلاني قام بعرض تلك الروايات وكان عددها أربعين رواية ، إلا أننا نجد خطأ طباعياً ، حيث تكرر الرقم " ٣٧ " مرتين مما يجعل العدد الفعلي للروايات إحدى وأربعين ، وفي موضع آخر قام الباحث بعرض الأعمال الكاملة للدكتور نجيب الكيلاني ، وفي هذه المرة كان العدد أربعين أيضاً ، وبدون أخطاء مطبعية ، فأين الخطأ إذاً ؟.

بعد مقارنة الموضعين تبين لي أن الباحث في الموضع الأول ذكر رواية "مذكرات الكلب شملول " ، ولم يأت على ذكر روايتي " الذين يحترقون " ، و " الكأس الفارغة " .

١ - مملكة البلعوطي ، نجيب الكيلاني ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١ م : ٣٠٩ .

أما في الموضع الثاني فقد ذكر الباحث روايتي "الذين يحترقون" ، وأغفل رواية "مذكرات الكلب شملول".

وإذا أضفنا رواية "مذكرات الكلب شملول" التي ذكرها في الموضع الأول إلى العناوين التي ذكرها في الموضع الثاني يكون الباحث "عبد الناصر" قد ذكر للكيلاني اثنتين وأربعين رواية<sup>١</sup>.

وفي دراسة أخرى للباحث "أحمد طه أحمد الشعبي" عن روايات نجيب الكيلاني ، قام بعرض مؤلفات الأديب المنشورة ، وفيما يتعلق بالرواية كان عدد العناوين المذكورة اثنتين وأربعين عنواناً .

وعند عقد مقارنة بين عمل الباحثين يتبين لنا أن الباحث "أحمد طه أحمد" وقع في لبس ، فهو لم يكتشف أن بعض روايات الكيلاني تحمل عناوين ، فقد قام بعرض رواية "ليل العبيد" ، و "ليل وقضبان" على أنهما روايتان ، في حين أن العناوين يعودان إلى رواية واحدة ، كما يؤكد ذلك نجيب الكيلاني<sup>٢</sup>.

وكذلك الأمر بالنسبة لـ "مواكب الأحرار" ، و "نابليون في الأزهر" فهما عنوانان لرواية واحدة ، ولم يأت على ذكر روايتي "على أبواب خيبر" ، و "مذكرات الكلب شملول"<sup>٣</sup>.

(وقد ذكر الباحث أشرف محمد إبراهيم في رسالته "المرأة في روايات نجيب الكيلاني" رواية بأسم "أرض الأشواق" وأخرى بأسم "عذراء الشارقة" ، فالرواية الأولى المذكورة لم أقف عليها في جميع مؤلفات الكيلاني ... ويترجح لدي أنها أسم ثان لرواية "أرض الأنبياء" ... أما الرواية الأخرى المذكورة "عذراء الشارقة" فهي مجموعة قصصية مخطوطة ولم تطبع بعد)<sup>٤</sup>.

١ - ينظر : ملامح الشخصية الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني السياسية : ٨٣ ، ٤٠٢ .

٢ - لمحات من حياتي : ٣ / ٣٠ .

٣ - ينظر : الشخصية في سلسلة روايات إسلامية معاصرة : ٢٧ - ٢٩ .

٤ - ملامح الشخصية الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني السياسية : ٨٤ .

وقد وقعت الباحثة " حنان بنت جابر عبد الرحمن الحارثي " في اللبس نفسه ، فلم تذكر " رواية " أهل الحميرية " ، بينما ذكرت رواية " أرض الأشواق " مبيّنة أنها رواية مفقودة <sup>١</sup> .

---

١ - صورة المرأة في قصص نجيب الكيلاني : ١٨ - ٢٠ .